ملف المستقبل ..

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجـد القيـادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقـة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجـل الحفـاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحـة من عالم الغـد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1 ـ ذلك الشىء ..

على الرغم منه ـ ارتجف جسد الدكتور (راشد) ، كبير علماء مركز أبحاث المخابرات التكنورقمية ، التى حلّت محل المخابرات العلمية ، بعد تلك الكارثة الرهيبة ، التى تعرَّضت لها مصر كلها ، واختفى معها (نور) وفريقه ، لأكثر من ثلاثين عامًا ..

ارتجف جسده ، وهو يتطلّع إلى جسد (محمود) ، المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، ورجال أمن الحصن يضعونه فى ذلك التابوت الرصاصى السميك ، استعدادًا لدفنه فى أعماق الأرض ..

كانت عينا (محمود) مفتوحتين ، تحدّقان أمامه بلا حياة ، وجسده جامد كتمثال من المعدن ، مما أورثه مظهرًا مخيفًا ، لم يستطع الدكتور (راشد) احتماله طويلاً ، فأشاح بوجهه عنه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل سنمضى النهار كله فى هذا ؟!

أجابه أحد الرجال فى دهشة :

ـ الأمر لم يستغرق نصف ساعة بعد .

فعليًا ، كان الرجل على حق تمامًا ، فلم يبدأ هذا الأمر ،

Looloo
www.dvd4arab.com

إلا منذ أقل من نصف الساعة بالفعـــل ، ولكن الدكتور (راشد) كان يشعر وكأنه يقف أمام ذلك الجسد الزوريومى ، منذ دهر كامل ..

كان التوتر يملأ جسده كله ، وهو يحاول الانشغال عما يحدث ، باستعادة ذكريات قريبة نسبيًا ..

لقد شهد فى حداثته تلك الكارثة الرهيبة ، التى تعرَّضت لها مصر ، إثر مهمة خرج فيها (نور) وفريقه ، لاستكشاف كهف زاخر بغموض لا حدود له .. كهف قادهم إلى كشف حضارة هائلة ، تكمن فى باطن الأرض ، قبل أن تظهر حضارتنا إلى الوجود بآلاف السنين ..

حضارة نشأت قبلنا ، وتطوَّرت فى معزل عنا ، ثم بدأت تستطلعنا ، عندما أصبحنا نمثِّل خطرًا عليها ..

حضارة وجدت نفسها أمام خيار واحد لا غير ..

إما استمرارها ..

أو استمرارنا ..

فاتخذت قرارها ..

ودمرتنا ..

شهد هـــذا فى حداثته ، ولكنه لم يستوعبه ، إلا عندما انضمّ إلى المخابرات التكنورقمية ، بعد الكارثة بسنوات ..

أيامها ، كان يتصوَّر أنه قد استوعب كل شىء ، حتى فوجئ بعـــودة فريق (نور) بغتة ، بعد أن سجَّل التاريخ اختفاءهم ، وافترض موتهم(*) ..

مع عودتهم ، بدأ القائد الأعلى يتصرَّف على نحو عجيب ..

لقد أحاطهم بحصار قوى ، حتى يمنعهم من معرفة ما يدور خارج أســـوار حصن المخابرات التكنورقمية ، وحتى يعزلهم تمامًا عن المقاومة الرهيبة ، التى تدور هناك .. فى قلب أطلال (القاهرة) الجديدة ..

وعلى الرغم من أن (نور) وفريقه قد أتوا من زمن سابق ، بالنسبة للعصر الذى استعادوا فيه وعيهم ..

وعلى الرغم من الفارق التكنولوجى الرهيب ..

ومن كل ما فعله القائد الأعلى ، للسيطرة عليهم ..

على الرغم من كل هذا ، قاتلوا ..

وقاوموا ..

وأنقذوا (مشيرة) ، التى احتجزها القائد الأعلى ؛ لإجبار (أكرم) على خيانة رفاقه ..

(*) راجع قصة (المفقودون) ... المغامرة رقم (153)

Looloo
www.dvd4arab.com

واستعانوا بـ (طـارق) ، حفيـد (نور) و(سلوى) ، وابن (نشوى) و(رمزى) ، وبطاقة (الزوريوم) الهائلة ، التى تسرى فى جسد (محمود) الجديد ، و ...

وفرّوا من الحصن ..

فرّوا إلى الأطلال ، حيث فصائل المقاومة ..

حيث الذئب ، الذى يقود كل الفصائل ..

حيث صار (طارق) الصغير ، ابن (نور) ، و(محمود) الصغير ، ابن (نشوى) ، زعيمين من زعماء المقاومة ..

وحيث عالم جديد ..

عجيب ..

مخيف ..

مثير للحيرة ..

والشك ..

عالم لم يمكنهم حسم موقفهم منه ..

هل يقاتلون إلى جوار المقاومة ؟!..

أم إلى جوار مخابرات الحصن ؟!..

كانوا قد كشفوا أن القائد الأعلى ليس كما يبدو عليه ..

وربما ليس بشريًا ..

على الإطلاق ..

وفى الوقت نفسه ، لم يمكنهم أبدًا أن يثقوا فى الذئب ، زعيم زعماء فصائل المقاومة ..

ثم إنهم قد كشفوا أن ذلك العالم ، محاصر بحاجز عجيب خفى ..

حاجز شبه مخملى ، ولكنه شديد الصلابة والقوة ..

حاجز يختلف عن كل ما عهدوه أو عرفوه من قبل ..

وفى نفس الوقت ، الـذى قرر فيـه القـائد الأعلى وضع (محمود) ، بجسده المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، فى تابوت سميك من الرصاص ، ودفنه فى أعماق الأرض ؛ ليعزله تمامًا عن أى مصدر للطاقة ، كان الدُّب يمضى ، بأوامر من الذئب ؛ للتخلُّص من (محمود) و(طارق) الصغيرين ، وكان (نور) وفريقه يواجهون ذلك الشىء ..

ذلك الشىء الرهيب ..

جـدًّا(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الأجزاء الأربعة الأولى (عالم جديد) ، (قاتل لماذا) ، (حرب الغد) ، و(نيران المستقبل) .. المغامرات أرقام (156) ، (157) ، (158) ، (159) .

www.dvd4arab.com

انتفض جسد الدكتور (راشد) ، قبل حتى أن يبلغ عقله نهاية ذكرياته ، عندما قال أحد الرجال فى توتر :

ــ انتهينا .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يحدّق فى بقعة الأرض ، التى اختفى تحتها ذلك التابوت الرصاصى السميك ، الذى يحوى جسد (محمود) ، وظلّ لسانه عاجزًا عن النطق لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ــ سنصب فوقه أرضية من الأسمنت المصفّح .

بدت دهشة عارمة على الرجال ، وغمغم أحدهم :

ــ ولمـاذا كل هذا ؟!

لم يكن الدكتور (راشد) يملك جوابًا فعليًا ، عن هذا السؤال !!..

بل لم يكن يدرى حتى لماذا طلب القائد الأعلى كل هذا ؟!..

ولماذا يخشى (محمود) إلى هذا الحـد ؟!..

لمـاذا ؟!..

ولأنه لا يملك جوابًا ، فقد هتف بصاحب السؤال ، فى صرامة عصبية :

ــ نفذ الأوامر فحسب .

لزم جميع الرجال الصمت بعد هتافه ، ويدعوا فى تنفيذ الأمر بالفعل ..

وهناك ، تحت أقدامهم ، وداخل ذلك التابوت الرصاصى السميك ، كان (محمود) يرقد ساكنًا ، مفتوح العينين ، يحدّق فى الظلام أمامه ، وهو يدرك أنه سيظل يحدّق فيه لمئات السنين ..

ما لم يتغيَّر شىء ..

أى شىء ..

لم يكن يدرى ما الذى فعله به القائد الأعلى ، ووضعه فى تلك الحالة من شبه الجمود !!

ولكن ما أطلعه عليه ، قبل أن يضعه فى هذه الحالة ، كان رهيبًا ..

رهيبًا بحق ..

كان يكفى لتدمير ذلك الجزء البشرى منه ..

تمامًا ..

أما الأسوأ من هذا ، فهو ما أراه إياه ، مما يواجهه رفاقه ..

فوفقًا لما رآه ، سيكون مصير كل من يعرفهم هو الدمار ..

الدمار التام ..

بلا رحمة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت عينا الدُّب عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه (طارق) ، الذى صوَّب إليه مسدسه المتردِّدى ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أهذا ما أوصاك به جدى ؟!..

بدا صوت الدُّب شديد التوتر والانفعال ، وهو يقول :

ــ لا تسئ تفسير الموقف .

رأى (محمود) و(طارق) الصغيرين يظهران ، من خلف كتفى (طارق) ، ورأى فى عيونهما نظرة اتهام مزَّقت مشاعره ، و(طارق) يقول :

ــ حقًا ؟!.. تتسلَّل إلى هنا ، وخنجرك فى يدك ، ثم لا ينبغى أن أسىء تفسير الموقف .. هل يبدو لك هذا منطقيًا ؟!

انتفض جسد الدُّب ، وهو يقول ، وقد تضاعف انفعاله :

ــ لم أتسلَّل إلى هنا لإيذائكم ..

قال (محمود) الصغير فى غضب :

ــ لماذا كان خنجرك إذن ؟!

أجابه منتفضًا :

ــ لحمايتى من أى هجوم مفاجئ .

صدمته نظرات الشك والاستنكار ، التى أطلَّت من عيون ثلاثتهم ، فاستطرد فى عصبية منفعلة :

ــ رجال الحصن خالفوا كل ما اعتدناه منهم ، وصاروا يخرجون إلى الأطلال ، ويعتقلون من يشاءون ، والأمور لم تعد كما كانت ، ولا بد للمرء من الحذر .

سأله (طارق) الصغير فى غضب :

ــ وستحمى نفسك بخنجر .

بدا تأثُّر شديد فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ــ وماذا أملك سواه ؟!

لدقيقة كاملة تقريبًا ، ظلَّ ثلاثتهم يحدقون فيه فى صمت ، وقد امتزجت مشاعرهم على نحو عجيب ..

فعلى الرغم من ضخامته ، بدا لهم الدُّب بائسًا مسكينًا ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، حتى إن (طارق) خفض مسدسه ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

ــ أليس من المفترض أنكم تملكون بعض التكنولوجيا .

هزَّ الدُّب رأسه نفيًا ، فى أسى أكثر ، وهو يغمغم فى بؤس :

ــ الذئب وحده يملكها .

Looloo
www.dvd4arab.com

سأله فى اهتمام :

ــ ولماذا لا تحظون كلكم بها ؟!

هزَّ كتفيه الضخمين ، قائلاً :

ــ لأن ما نملكه من التكنولوجيا ، لا يتجاوز ما رأيتموه فى مقر الزعيم .. إنه يستخدمها للتواصل مع رجلنا داخل الحصن فقط .

تبادل الثلاثة نظرة دهشة عارمة ، قبل أن يغمغم (طارق) :

ــ رجلكم داخل الحصن ؟!.. هـل يعمل أحـد أفراد الحصن لحسابكم ؟!

غمغم الدُّب فى عصبية :

ــ كيف علمنا أن الفريق قد عاد إذن ؟!

اعتدل (طارق) ، وشرد ببصره بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

ــ رباه !.. هذا لم يخطر ببالنا هناك قط !!..

وخفض مسدسه إلى جوار جسده ، وهو يتحرَّك فى المكان مستطردًا ، وكأنه يحاور نفسه :

ــ ولكن كيف ؟!.. نظم الأمن لدينا شديدة التطوّر ، وهى تلتقط أى اتصال ، يمكن أن يتجاوز الأسـوار ، فكيف يمكن لرجلكم أن يتجاوز كل هذا ، ويرسل إليكم معلوماته .

غمغم الدُّب ، وهو يدير عينيه فى ثلاثتهم فى حذر :

ــ ربما هو أحد ذوى الشأن هناك .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يقول ، مواصلاً حواره مع نفسه :

ــ من ؟!.. ثلاثة فقط يمكنهم هذا .. القائد الأعلى ، والدكتور (راشد) ، و(هيثم) ..

توقَّف فجأة ، وازداد انعقاد حاجبيه على نحو عجيب ، جذب انتباه (طارق) و(محمود) الصغيرين بشدة ، وهو يقول :

ــ من المستحيل أن يكون (هيثم) ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يقول فى صوت خافت ، بدا أشبه بالهتاف :

ــ الدكتور (راشد) .

انعقد حاجبا الدُّب الكثَّان فى هـذه اللحظة ، وهو ينقل بصره بين ثلاثتهم ..

(طارق) كان غارقًا فى المفاجأة ..

و(محمود) و(طارق) الصغيران يتابعانه ، فى لهفة وفضول ..

www.dvd4arab.com

ولا أحد يراقبه ..

لذا فقد حسم أمره ..

و ...

وانتقض ..

ويمنتهى العنف ..

* * *

ذلك الشيء الذى برز من أعماق الأرض ، كان رهيبًا بحق ..

لم يكن كائنًا حيًا ، وإنما كان آلة ..

آلة عملاقة ، لها هيئة دودة هائلة ، ذات أسنان شديدة الحدة ، من الصلب القوى ..

وعينان تشتعلان لهيبًا ..

لهيبًا حقيقيًا ..

ولقد ارتفع ذلك الشيء الآلى العملاق أمام (سلوى) و(نشوى) و(رمزى) ، من أعماق الأرض ، ودار وكأنه ينظر إلى ثلاثتهم ، بالعينين المشتعلتين باللهب ..

كان كأنه يرصدهم أولاً ، قبل أن ينقضّ عليهم ..

ومع شدة رعبهم ، تراجع الثلاثة فى صمت ، وقد اتسعت عيونهم عن آخرها ، وخفقت قلوبهم كما لم تخفق من قبل ..

ومن بعيد ، وصل مسامعهم دوى رصاصات ..

رصاصات تقليدية ، يستحيل أن تؤثر فى شيء كهذا ..

مستحيل تمامًا ..

ولقد دار ذلك الشيء حول نفسه ، والتفّ على نحو عجيب ، وانكمش على نفسه ..

ثم انقضّ ..

انقضّ على ثلاثتهم ..

بكل قوته ..

قبل هـذا بلحظات ، كـان شيء مماثل ينقضّ على (نور) و(أكرم) ، فى شراسة أكبر ، وعنف أكثر ..

وبكل قوته ، وثب (نـور) جانبًا ، يحتمى بجدار هائل قديم ، سقط نصفه وتهالك معظمه ..

كان عقله يمر بحالة عنيفة من التوتر والعصبية ، بعـد أن سمع صرخة (سلوى) تستنجد به ، وتناديه باسمه ..

ويواجه ذلك الشيء ، فى الوقت ذاته ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان عليه أن يجد وسيلة لإنقاذ نفسه والذود عنها ، وعن ابنته ورفاقه ..

ومما يراه أمامه ، كان هذا يبدو مستحيلاً ..

وبكل المقاييس ..

أما (أكرم) ، فلم يعمل عقله بالسرعة نفسها ..

بل غريزته وحدها عملت ..

وبأقصى سرعة ..

لقد رأى ذلك الشيء ينقض ، وشاهد العينين الملتهبتين تشعّان بكل الشر ، فاستل مسدسه التقليدى ، ووثب إلى الخلف ، وترك جسده يسقط على ظهره ..

وأطلق رصاصاته ..

أطلقها نحو العينين الملتهبتين مباشرة ..

لم يدرس الموقف ..

أو يحسبه ..

أو حتى يخشاه ..

فقط تحرّك ..

وبكل بدائيته ..

وأطلق الرصاص ، و ...

وأصاب الهدف ..

وعلى نحو عجيب ــ انفجرت عينا اللهب بدوى مكتوم ..

ومع انفجارهما ، انطلق من كل منهما عمود طويل من النار ..

وعلى الرغم من أن ذلك العمود الأوّل من اللهب ، قد مرَّ على مسافة متر كامل من (أكرم) ، إلا أنه شعر بلفحه ، كما لو كان حممًا ملتهبة ، تفجرت من بركان ثائر ..

أما عمود النار الثانى ، فقد أصاب ذلك الجدار ، الذى يختفى خلفه (نور) ، وشعر هذا الأخير بلفح النيران ، وبذلك الجدار القوى يتزعزع من مكانه ، فوثب إلى الأمام ، وتدحرج مبتعدًا عن بقايا الجدار ، الذى انهار أرضًا ، على قيد سنتيمترات قليلة منه ..

وعلى الرغم من لفح النيران ، وعنف سقوط الجدار ، وثب (نور) و(أكرم) واقفين متحفزين ، مستعدين لهجوم تالٍ ..

ولكن تلك الدودة الآلية العملاقة دارت مرة أخرى حول نفسها ، ثم انتصبت واقفة ، وكأنها عمود من الصلب ، وجمدت فى مكانها تمامًا ..

ثم فجأة ، فقدت تماسكها كله ..

وهـــوت ..

Looloo
www.dvd4arab.com

هوت كالحجر ، لترتطم بالأرض بمنتهى العنف ، على نحو ارتجّ له المكان كله ، واتسعت معه عينا (أكرم) ، وهو ينظر إلى مسدسه فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ مستحيل !!.. هل من الممكن أن ..

لم ينتظر (نور) ليسمع عبارته ، وهو يهتف :

ـ الرفاق .

انتزع الهتاف (أكرم) من دهشته ، وجعله يعدو بكل قوته خلف (نور) ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. لو أنه نفس الشىء ..

لم يتم عبارته بإرادته هـذه المـرة ، وكلاهما يعدوان نحو المكان ، الذى تركا فيه (سلوى) و(نشوى) و(رمزى) ..

كان الثلاثة يعدون فى كل الاتجاهات ، فى محاولة للفرار من تلك الدودة الآلية العملاقة ، التى راحت تدور حول نفسها ..

وتنقض ..

وتنقض ..

وتنقض ..

كانت فى كل مرة ، تضرب مبنى أو جدارًا ، فيتحطَّم أو يتهدَّم فى عنف ، و(سـلوى) تواصل صراخهـا ، وهى تعـدو مع (نشوى) ، محاولتين الفرار من ذلك الهجوم ، فى حين يبحث (رمزى) عن وسيلة لحمايتهما ..

ولكن تلك الدودة الآلية العملاقة التفَّت حولهم فى مهارة ، توحى بأنها مزوَّدة ببرنامج ذكاء اصطناعى شديد القوة ، وحاصرتهم فى مساحة ضيقة بين بقايا مبنيين قديمين ، واعتدلت ، وهى تحدق فيهم بعينيها الشبيهتين بجمرتين من الجحيم ، فاحتضنت (نشوى) زوجها ، وهى ترتجف ، قائلة :

ـ إنها النهاية ..

احتضنتها (سلوى) بدورها ، وهتفت من وسط دموع اليأس :

ـ (نور) .. أين أنت ؟!

مع هتافها تراجعت الدودة الآلية العملاقة ، استعدادًا للانقضاض ، و ... وهنا ، ظهر (نور) و(أكرم) ..

كانا يثبان نحوهم فى سرعة وخفة ، و(أكرم) يهتف :

ـ هنا أيها الوغد .. التفت إلىَّ ..

بدا كـأن تلك الدودة المعدنية قد سمعته وفهمته ، فقد التفت إليه بالفعل ، وازداد لهيب عينيها اشتعالاً ، فاندفع (نور) نحو ابنته وزوجته وزميله ، فى حين رفع (أكرم) مسدسه ، وهو يكمل :

www.dvd4arab.com

ــ هيا .. دعنى أرى عينيك الناريتين .

لا أحد يدرى أى برنامج هذا ، الذى تم تزويد تلك الدودة العملاقة به ، ولكن من المؤكد أنه برنامج شديد القوة ، أو أن ذلك الشىء يدار عن بعد .. وبوساطة عباقرة ..

أو غرباء ..

المهـم أنه ، وأيًا كانـت ماهيتـه ، أو ماهية مـن صـنعوه أو يديرونه ، قد أبدل هدفه ، وانقضّ على (أكرم) ..

وكما فعل فى المرة السابقة ، أطلق (أكرم) رصاصاته ..

أطلق رصاصة اخترقت إحدى العينين ، وأطلقت منها لسان النار المخيف ، الذى ضرب الأطلال ، وانعكس كالحمم على جسد (أكرم) ، الذى أطلق صرخة ألم عالية :

ــ أيها الوغـد .

ولكن المشكلة أن رصاصته الثانية لم تصب هدفها ..

لقد ارتطمت بالجسم المعدنى القوى ، على مسافة أقل من سنتيمتر واحد من العين الملتهبة ..

وانقضّ ذلك الشىء مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كانت انقضاضته عنيفة للغاية ..

وسريعة إلى أقصى حـد ..

سريعة ، حتى إن (أكرم) لم يجد الوقت ، حتى ليعيد تصويب مسدسه .. وبكل القوة ، ضربته تلك الدودة العملاقة ..

ومع آلام رهيبة ، فى صدره وبطنه ، شعر بجسده يطير ..

ويرتطم بالجدارن القديمة ..

ثم يهوى ..

هوى مرتطمًا بالأحجار المتهدمة ، وشعر بمزيد من الآلام ، تنتشر فى كل مكان فى جسده تقريبًا ..

ودار ذلك الشىء ؛ لينقض عليه مرة أخرى ..

وهذه المرة ، كان يبرز أسنانه شديدة الحدة ..

وقبل حتى أن يرفع (أكرم) مسدسه ، كان ذلك الشىء ينقض بأسنانه ، ويطبقهما على هدفه ..

وبمنتهى القوة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

2 ـ الأطـلال ..

صمت رهيب ، ران على حجرة القائد الأعلى ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويتابع ما تعرضـه تلك الشاشة الهولوجرامية الكبيرة أمامه ..

بوسيلة ما ، كان يرصد كل ما يحدث هناك ..

فى قلب الأطـلال ..

ولسبب ما ، كان شديد الاستمتاع بما يراه ..

(نور) وفريقه يقاتلون ذلك الشىء ..

ذلك الشىء الذى ينقض عليهم بعين واحدة ملتهبة ..

وبمنتهى منتهى العنف ..

كان قد رأى كيف واجه (أكرم) الدودة العملاقة الأولى ..

وكيف أسقطها ..

بمنتهى البدائية ..

آلة تكنولوجية عملاقة ، أسقطتها رصاصات تقليدية قديمة ..

رصاصات لم ينتظرها أو يتوقّعها أحـد ..

على الإطلاق ..

ولكن (أكرم) لم يعد قادرًا على إسقاط الثانية ..

وها هى ذى تنقض عليه ، و ...

فجأة ، اختفت تلك الصورة الهولوجرامية ، وخفتت الإضاءة دفعة واحدة ، بلا مقدمات ..

ثم ظهرت تلك التموّجات العجيبة ، فى سقف الحجرة ، ومنها انبعث ذلك الضوء غير التقليدى ..

وعلى الرغم من غضبه ، نهض القائد الأعلى فى سرعة ، ووقف تحت ذلك الضـوء ، وراحت ملامحه تستعيد أصلها غير البشرى ، وهو ينصت فى اهتمام شديد ..

اهتمام بدا معه من الواضح أنه يتلقى اتصالاً ما ..

اتصال بالغ الأهمية ..

إلى أقصى حد ..

وفى عصبية ، غمغم :

ـ كلا .. ما زلت أسيطر على كل شىء .. إننى أدير الأمور ، منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، دون أن تختل لحظة واحدة ..

Loo.oo

أنصت مرة أخرى ، ثم أضاف ، فى عصبية أكثر :

ــ فرارهم لا يعنى شـيئًا .. إنهم ما زالوا تحت سيطرتى ، وما حدث لا يتجاوز ما يحدث بالفعل .. اختبار .

تزايدت التموجات فى السقف على نحو واضح ، فقال فى توتر :

ــ لا .. لا ينبغى أن أتدخَّل على نحو سافر .. لابد أن يسير كل شىء بأسلوب طبيعى للغاية ، حتى لا يتطرَّق الشكُ إلى أحد منهم .

صمت لحظات ، وتابع :

ــ أعلم أنهم يشكّون فيما يدور بالفعل ، ولكننى واثق من أنهم لا يتصوَّرون الحقيقة ، ولا تقترب عقولهم حتى منها .

كانت تلك التموّجات تختلف ، من الشدة إلى الهدوء ، ومن سرعة التغيير إلى بطئه ، على نحو يوحى بأنها حديث متصل ..

حديث غير أرضى ..

بانفعالات نعرفها أرضيًا ..

بانفعالات تتراوح بين الصرامة ، والشدة ، والغضب ، والحسم ، والحزم ، والجدال ..

وكانت ردود أفعال القائد الأعلى ، هى خير دليل على هذا ..

ففى تلك اللحظة ، بدا عصبيًا أكثر ، وهو يقول :

ــ مستحيل !.. مهما بلغ ذكاء عقولهم ، لن يمكنهم حتى تخيُّل الحقيقة ، ولا حتى الاقتراب منها .

عادت التموّجات تتزايد ، فى الشـدة والسرعة والحجم ، فقال فى صرامة ، امتزجت بعصبية :

ــ كثيرون أمكنهم الوصول إلى (كوباء) ، ولكن أحدًا لم ينجح فى اختراقه حتى الآن ، ولن ينجح أحدهم .. حتى هم ، لن يمكنهم هذا .

استمع إلى تلك التموّجات مرة أخرى ، ثم شد قامته ، على نحو شبه عسكرى ، وهو يقول :

ــ نعم .. إننى أتحمَّل المسئولية كاملة .

هدأت التموّجات تدريجيًا ، حتى اختفت فى السقف تمامًا ، فغمغم هو ، وهو ، يستعيد وجه (أيمن) ، ويعود إلى مكتبه :

ــ أتحملها كاملة .

لم يكد يستقر خلف مكتبه ، حتى عادت تلك الشاشة الهولوجرامية للعمل ، ونقلت إليه صورة ما يحدث هناك ..

فى قلب أطلال الماضى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى شدة ، انعقد حاجباه ..

فمن الواضح أن ما رآه كان يختلف عما توقَّعه ..

كثيرًا ..

جـدًا ..

* * *

انقضت تلك الدودة الآلية العملاقة على هدفها بكل قوتها ، وهى تبرز أنيابًا معدنية طويلة ، شديدة الحدة ..

وتراجع (أكرم) بقدر استطاعته ..

وشهقت (سلوى) ..

وصرخت (نشوى) ..

وارتجف (رمزى) ..

ووثـب (نـور) ..

وأطبقت تلك الأنياب الرهيبة ..

ولوهلة ، تصوَّر (أكرم) أن تلك الأنياب قد انطبقت على جسده ..

وأنها قد مزَّقته تمزيقًا ..

وبكل قوته ، أغلق عينيه ، ورفع يده ليحمى وجهه ، و ...

وسمع صوت تحطُّم زجاج سميك ..

وشعر بلفح لهيب رهيب ..

وارتفعت حرارة الصخرة التى سقط عليها إلى حد مخيف ، جعله يثب من فوقها ، مطلقًا صرخة محدودة ..

ومن المؤكَّد أن وثبته هذه قد جاءت فى موعدها ..

وبمنتهى الدقـة ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، هوت تلك الدودة الآلية العملاقة ، على قيد سنتيمترات قليلة منه ، وكان لارتطامها بالأرض وقع رهيب ، ارتجَّ معه المكان كله ، وتهاوت معه قطع كبيرة من الصخور ، جعلت (نور) ورفاقه يتراجعون بحركة غريزية ، فى حين رأى (أكرم) قطعة كبيرة من الصخر تهوى نحوه ، فحاول تفاديها ، إلا أنه شعر بيد قوية تجذبه بعيدًا ، مع صوت خشن ، يقول فى لهجة ، امتزجت فيها الجدية بالسخرية :

ـ رأسك ليس صلبًا إلى هذا الحد ..

أغمض (أكرم) عينيه ، مع كمية الغبار الهائلة ، التى صحبت الانهيار ، ولكن فضوله الشديد جعله يفتحهما ، على الرغم من

Looloo
www.dvd4arab.com

هذا ؛ ليحدّق فى ذلـك الواقف أمامه ، فى نفس اللحظة التى تحرّك فيها (نور) فى توتر ؛ محاولاً حماية صديقه ، وهتفت فيها (سلوى) :

ــ رباه !.. من هذا ؟!

كان ذلك الرجل ، الواقف أمام (أكرم) وسط الغبار ، يبدو أشبه بصورة من كتاب تاريخ قديم ، أو من رواية تاريخية ، من روايات سير (والتر سكوت) العظيمة(*) ..

كان طويلاً ، متين البنيان ، يحمل قوسًا بدائيًا ، وعلى كتفه جعبة من أسهم ، ذات رءوس معدنية قوية ، التف على كل منها شكل زجاجى شبه كروى ، يمتلئ بسائل ما ..

وعندما اندفع (نور) و(رمزى) نحوه ، لم يبد اهتمامًا ملحوظًا ، وهو يتابعهما ببصره ، فى حين نهض إليه (أكرم) ، وسأله فى توتر ، لا يحمل أدنى أثر للضغينة ..

ــ من أنت يا رجل ؟!

(*) سير (والتر سكوت) : (1771 ــ 1832م) : شاعر روائى بريطانى ، تخرج من جامعة (أدنبره) ، ودرس فى (اسكتلندا) ، وبدأ حياته العملية بجمع الأشعار الشعبية فى بلدته ، من أشهر أعماله (سيدة البحيرة) عام (1810م) ، و(ايفانهو) ، عام (1830م) ، وروايته عن (صلاح الدين الأيوبى) (الطلسم) ، عام (1831م) .

أجابه فى هدوء ، لا يتفق حتى مع الموقف :

ــ يمكنـك أن تدعونى (إتش) ، كمـا كان يدعونى أصدقائى المقربون فيمـا مضى ، أما اسـمى الرسمى ، فهو (هاشم) .. ولست أظن للألقاب أية أهمية ، فى هذا العصر .

بلغه (نور) و(رمزى) فى هـذه اللحظـة ، ولكنهما لاذا بالصمت ، واكتفيا بتفحص الرجل ، الذى لم يبد أيضًا اهتمامًا بهذا ، و(أكرم) يشير إلى الدودة الآلية ، التى سقطت أرضًا ، متسائلاً :

ــ هل أسقطت هذا الشىء ، بتلك الأسهم البدائية .

ابتسم (هاشم) ، وهو يسحب أحد الأسهم ، ويشير إلى الرأس المعدنية ، والقارورة الزجاجية الملصقة بها ، قائلاً :

ــ ليست بدائية تمامًا كما تبدو .. تلك الرءوس مصنوعة من (السوبرتيتانيوم) ، وهى سبيكة جديدة نسبيًا ، تبلغ صلابتها ثلاثة أمثال صلابة مادة (التيتانيوم) القديمة ، وهى أخف وزنًا بمرتين على الأقل(*) ، أما تلك القنينة الملصقة بها ، فهى تحوى حمضًا أمينيًا شديد الفتك .

(*) (تيتانيوم) : عنصر فلزى ، أبيض فضى لامع ، (رمزه تين) تصنع منه سبيكة مع الصلب ، فيزيد من صلابته وقـوة شـده ، وهو يستخدم فى صنع المواد أو الأشياء ، التى تحتاج إلى مزيد من الصلابة والخفة ، مثل مكوك الفضاء .

www.dvd4arab.com

ثم غمز بعينه ، مضيفًا :

ـ وسريع التأثير أيضًا .

نقل (أكرم) بصره ، بين (هاشم) وتلك الدودة العملاقة ، قبل أن يمد يده إلى الرجل ، قائلاً :

ـ لقد أنقذت حياتى .. شكرًا لك .

تجاهل الرجل اليد الممدودة إليه ، ورفع قوسه على ظهره ، وهو يقول ، فى استهتار عجيب :

ـ لم أسع إلى هذا فى الواقع ، ولكننى أبغض تلك الأشياء ، وخروجها إلى السطح ، كان فرصة لم يمكننى تفويتها .

استدار ، وكأنه يهم بالانصراف ، قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى (أكرم) ، قائلاً :

ولقد جذبنى دوى رصاصاتك ، الذى اشتقت إلى سماعه طويلاً :

غمغم (أكرم) ، بشىء من الابتهاج :

ـ حقـًا ؟!

أدار (هاشم) عينيه فيهم جميعًا ، وتوقفت نظراته لحظات عند (سلوى) و(نشوى) ، قبل أن تتركز عند (نور) ، وهو يسأل فى حذر :

ـ أنتم هاربون مثلى .. أليس كذلك ؟!

جلس (نور) على جسم تلك الدودة الآلية العملاقة ، وهو يقول :

ـ أأنت هارب ؟!

هزَّ (هاشم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ أظننى أحاول هذا .

ثم ابتسم ابتسامة عجيبة ، فيها من الأسى أكثر مما فيها من السخرية ، وهو يضيف :

ـ منذ ثلاث سنوات .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يسأله (رمزى) فى حذر :

ـ ومم تفر بالضبط ؟!

أشـار (نور) إلى (رمزى) ، وكأنه يعترض سؤاله ، وهو يسأل (هاشم) بدوره :

ـ وما الذى منعك من الفرار ؟!

انقلبت شفتا الرجل ، فى غضب وامتعاض ، وهو يقول :

ـ (كوياء) .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ مـاذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

لوّح (هاشم) بيده ، فى توتر ملحوظ ، وهو يجيب :

ـ ذلك الحاجز العجيب ، الذى يحيط بكل شىء .. حاجز حاولت اختراقه ، لأكثر من ثلاث سنوات ، ولكننى فشلت تمامًا .

احتقن وجهه ، وهو يضيف فى حـدة :

ـ إنهم يحتجزوننا هنا ، كما لو كنا حيوانات أليفة ، داخل قفص مخملى ، يستحيل اختراقه .

تمتمت (سلوى) فى توتر :

ـ ولكنهم محتجزون داخله مثلنا .. ألا يوحى هذا بأنهم صنعوه للحماية ، وليس للاحتجاز .

قال فى عصبية :

ـ هذا لو أنك تتصوَّرين أنهم من يحكمون كل هذا .

جذبت العبارة انتباه (نور) فى شدة ، فسأله فى اهتمام :

ـ إلى ماذا تشير بالضبط يا هذا ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ (هاشم) .. اسمى (هاشم) .

ثم مال نحو (نور) بشدة ، حتى لفحت أنفاسه وجه هذا الأخير ، وبدت عيناه وكأنهما تغوصان فى أعمق أعماقه ، وهو يضيف :

ـ ولو أن ما بلغنى صحيح ، وأن ذاكرتى لم يصبها الصدأ ، وبدت قلة الاستخدام ، فأنت المقدَّم (نور الدين) .

واعتدل بحركة حادة ، وهو يدير عينيه فى الباقين ، مستطردًا :

ـ وهذا فريقك .. زوجتك (سلوى) ، وابنتك (نشوى) ، وخبير علم النفس الشهير ، الدكتور (رمزى) ، و ...

توقف بصره عند (أكرم) ، وصمت لحظة ، قبل أن يتابع :

ـ (أكرم) .

بدا كأن التأثر قد غلبه بضع لحظات ، ثم أضاف بصوت مختلج :

ـ مثلى الأعلى .

هتف (أكرم) فى فرحة غمرت توتره :

ـ أنـا ؟!

تنحنح (هاشم) على نحو عصبى ، وأشاح بوجهه عن (أكرم) ، وعاد يتطلَّع إلى (نور) ، ورفاقه المشدوهين ، وهو يقول فى صرامة مفاجئة :

ـ ولكن ممن تفرّون أنتم .. يا أسطورة الماضى ؟!

لم يجب أحدهم سؤاله ، فى حين شد (نور) قامته ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لم تجب سؤالى بعد ؟!

ابتسم (هاشم) فى سخرية مريرة ، وهزّ رأسه فى بطء ، قائلاً :

ــ أنت الأسطورة .. اكشف هذا بنفسك .

قالها ، واستدار لينصرف ، فوثب (نور) نحوه ، وأمسكه من ذراعه ، وجذبه إليه ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ انتظر .

أطلق الرجل صرخة قتالية مخيفة ، امتزجت بزمجرة وحشية ، ودار على عقبيه فى حركة شديدة السرعـة ، وانطلقت صرخة (سلوى) مدويّة ، وخنجره يهوى ...

على قلب (نور) مباشرة ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، أثبت الدُّب أنه مقاتل شرس ، لا يشق له غبار ، وأنه ، وعلى الرغم من ضخامته ، خفيف الحركة إلى حد مدهش ..

ففى لحظة واحدة ، اختار خصومه ، وانقضّ على (طارق) ، وكبّل حركته بذراعه اليسرى ، وهو ينتزع منه مسدسه التردّدى بيمناه ..

وعندما اندفع (محمود) نحوه ، أطلق زمجرة مخيفة ، وهو يستدير ويركله فى صدره ركلة عنيفة ، دفعته حتى آخر الحجرة ، وضربته بجدارها فى قوة ..

وبكل ما يملك من إرادة ، انتزع (طارق) الصغير نفسه من المفاجأة ، ووثب يتعلّق بعنق الدُّب ، الذى أطلق زمجرة أكثر قوة ، وتراجع دون أن يفلت (طارق) الكبير ، حتى ضرب (طارق) الصغير بالجدار خلفه فى عنف ، شعر معه هذا الأخير بآلام رهيبة فى عموده الفقرى ، اضطرته لإفلات عنق الدُّب ، الذى دار حول نفسه فى خفة ، على الرغم من أنه ما زال يحمل (طارق) فى ذراعه اليسرى ، وركله ركلة عنيفة ، أسقطته أرضًا ..

وعندما استجمع (محمود) الصغير قـواه ، ونهض لمواصلة القتال ، وجد فوهة المسدس التردّدى مصوّبة إلى صدره ، و(طارق) الكبير يحاول عبثًا التخلّص من ذراع الدُّب الأقوى من الصلب ، فى حين سقط (طارق) الصغير أرضًا ، والدُّب يضع قدمه على صدره فى قوة ..

ولقد شاهد هذا لحظة واحدة ، ففى اللحظة التالية ، دار الدُّب نصف دورة ، وألقى (طارق) الكبير بكل قوته ، فارتطم بجسد (محمود) بمنتهى العنف ، وسقط الاثنان أرضًا ، والآلام تصرخ فى كل أنحاء جسديهما ..

وقبل حتى أن يستعيدا وعيهما ، كان الدُّب يجلس أمامهما ، وسلاح (طارق) فى يده الضخمة ، مصوّبًا إلى رأسيهما مباشرة ..

Loplop www.dvd4arab.com

مرّت ثانيتان من الصمت المتوتر ، قبل أن يقول (طارق) فى عصبية :

ــ ماذا تنتظر ؟!

ظلّ الدُّب يحدّق فيه لحظات ، دون أن يحمل وجهه أية انفعالات ، ثم أدار مسدسه فى يده بحركة سريعة ، ومدَّ يده به إلى (طارق) ، وهو يمسكه من ماسورته ، وكأنه يدعو (طارق) للإمساك به ..

وللحظات ، تردَّد (طارق) ، الذى لم يستوعب ما فعله الدُّب ، ثم لم يلبث أن مدَّ يـده إلى مقبض مسدسه فى حـذر ، فغمغم (محمود) الصغير ، فى توتر شديد :

ــ احترس .

ولكن (طارق) أمسك مقبض مسدَّسه ، وشدَّد قبضته عليه ، ثم جذبه من يد الدُّب فى حذر ، وتخلَّى عنه الدُّب فى بساطة ، وظلّ يحدّق فى عينى (طارق) لحظة ، ثم لم يلبث أن نهض ، واتجه نحو (طارق) الصغير ، وانحنى يساعده على النهوض ، وهو يقول بصوته الغليظ :

ــ هل يكفيك هذا ؟!

سأله (طارق) ، وهو ينهض فى حذر ، مصوِّبًا مسدسه إليه :

ــ يكفينى لمـاذا ؟!

جلس الدُّب على مقعد خشبى قريب ، وهو يقول :

ــ لتمنحنى ثقتك .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، وغمغم (محمود) الصغير :

ــ هل فعلت كل هذا لـ ...

قاطعه الدُّب فى هدوء :

لكى تدركوا أننى ، لو كنت أنشد قتلكم ، لفعلت ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غلظة :

ــ وما كنتم تستطيعون منعى .

وصمت لحظة أخرى ، ليتابع :

ــ كما رأيتم .

ران على ثلاثتهم صمت مهيب ، استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، لاذ خلالها الدُّب بالصمت التام ، وهو ينظر إليهم ، وهم يقتربون من بعضهم البعض ، و(محمود) و(طارق) الصغيرين ينظران إلى (طـارق) ، وكأنهما ينشدان المشـورة ، فوضع مسدسه فى غمده ، وهو يقول :

ــ لماذا أتيت إلى هنا متسلِّلاً إذن ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه الدُّب فى حـزم :

ـ لقد سبق أن أخبرتك .

ثم مال نحوهم فى جلسته ، مضيفًا :

ـ كنت أحاول حمايتكم .

غمغم (طارق) الصغير ، فى دهشة مستنكرة :

ـ تحمينا ؟!.. مم ؟!

نهض الدُّب من مقعده القديم ، على نحو مفاجئ ، زاد من الإحساس بضخامته ، وهو يلوِّح بيديه ، قائلاً :

ـ المفترض أنكم هنا فى منزل آمن ، ولكن الذئب لديه بالفعل عين ، داخل الحصن ، ولقد علم أن بعضهم كشف أمركم ..

مال نحوهم مرة أخرى ، مضيفًا فى حزم غليظ :

ـ ويرغب فى القضاء عليكم .

مرة أخرى تبادلوا نظرة صامتة ، ثم قال (طارق) فى حزم :

ـ ما زال هذا لا يبرِّر تسلُّلك إلى هنا .

زمجر الدُّب ، قائلاً :

ـ لو رأونى لقتلونى أيضًا .

بدت إجابته شديدة المنطقية ، حتى إن الصمت غلَّفهم مرة أخرى ، حتى تحرَّك (طارق) الكبير ، وجذب مقعدًا ، جلس عليه قبالة الدُّب ، الذى عاود الجلوس بدوره فى توتر ، فمال (طارق) نحوه ، يسأله :

ـ وإلى أية جهة ينتمى أولئك ، الذين يسعون لقتلنا ؟!

هزَّ الدُّب رأسه فى عصبية ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .

تفرَّس (طارق) ملامحه بضع لحظات ، فى تمعُّن شديد ، فشعر الدُّب بالتوتر ، وأشاح بوجهه ، وهو يقول فى عصبية أكثر :

ـ لقد أجبتك .

ظلَّ (طارق) يتفرَّسه بضع لحظات أخرى ، ثم لم يلبث أن تراجع فى مقعده ، وقال فى هدوء حازم :

ـ هل تعلم أيها الدُّب ، أننى فعليًا ، أصغر الموجودين هنا سنًّا ؟!

عاد الدُّب يبصره إليه فى حيرة ، فتابع بنفس الحزم :

ـ القياسات العمرية فى عائلتنا كلها مختلة ، على نحـو عجيب ؛ بسبب كل ما مرَّ به الفريق من أمور عجيبة وغريبة ، وكل ما خاضه من مواجهات ، من قاع المحيط ، وحتى أعماق الكون السحيق .

www.dvd4arab.com

تمتم الدُب فى حيرة أكثر ، امتزجت بتوتر عنيف :

ــ لقد قرأنا هذا التاريخ .

تابع (طارق) ، وكأنه لم يسمعه :

ــ إثر تجربة عجيبة من غرباء ، قلب فى المحيط ، قفزت أمى (نشوى) بغتة ، من الطفولة إلى الشباب ، حتى إن عمرها صار مقاربًا لعمر أمها وجدتى (سلوى)(*) ، ثم وبانتقالهم عبر الزمن ، لأكثر من ثلاثين عامًا ، قضوها فى غيبوبة عميقة ، وجد جدى وجدتى نفسيهما فى سن خالى (طارق) ، وشقيقى (محمود)(**) .. وفعليًا أنا شقيق (محمود) الأصغر ، وهو يكبر خالى (طارق) ، وعـودة الفريق جعلت الرائد (نور) ، وزوجته (سلوى) ، يعيشان فى عمر متقارب ، مع ابنيهما وحفيديهما ، و ...

قاطعه الدُب فى عصبية :

ــ ما الذى يعنيه كل هذا بالضبط ؟!

مال (طارق) نحوه بحركة مباغتة ، قائلاً :

ــ يعنى أننى قد نجحت فى استثارة أعصابك ، حتى يمكننى كشف أغوارك .

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (62) .

(**) راجع قصة (عالم جديد) .. المغامرة رقم (156) .

حدَق فيه الدُب بنظرة بلهاء ، فتابع فى صرامة :

ــ موهبة ورثتها عن والدى (رمزى) ، أسطورة التحليل النفسى ، وكشف أغوار الطبيعة البشرية .. موهبة جعلتنى أدرك أنك تكذب ، عندما تقول : إنك لا تعرف هوية من يسعون لقتلنا .

بدا الدُب شديد العصبية ، وهو يقول :

ــ إنك تضيع وقتًا ثمينًا ، بروايتك العقيمة هذه .. إننا لم نكن نعلم علاقتك بالأسطورة وفريقه ، أما الباقى ، فأى طفل هنا يحفظه عن ظهر قلب ، وهذا بالتأكيد ليس الوقت المناسب لترديده ، فهم فى طريقهم إلى هنا .

صاح به (طارق) فى غضب :

ــ من هم ؟!

أجابه صوت (محمود) الصغير مرتجفًا :

ــ اخفض صوتك يا شقيقى .. إنهم هنا بالفعل .

وثب (طارق) من مكانه ، فى نفس اللحظة ، التى زمجر فيها الدُب ، قائلاً فى غضب :

ــ أرأيت ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

وبنظرة واحدة ، عبر فرجة النافذة ، أدرك (طارق) أن الدُّب كان صادقًا بالفعل ..

لقد كان هناك جيش صغير يحاصر ذلك المنزل الآمن ، الذى يختبئون فيه ..

جيش مسلَّح بالأسلحة البيضاء ..

وبالقلوب السوداء ..

جـدًا .

* * *

3 ـ الحصار الأسود ..

ليل أسود طويل ، ذلـك الذى سيمضيه (طارق) ، فى سجنه الضيق هذا ، حتى تنفد طاقة (الزوريوم) الحيوى من جسده ..

ليل بلا نهاية ..

حصار بلا حدود ..

حصار أسود ..

أســود ..

بل شديد السواد ..

ووفقًا لتلك المعلومات ، التى تدفَّقت من (الزوريوم) الحيوى إلى عقله وأعماقه ، كان يدرس أن ذلك الحصار لن يستمر أعوامًا ..

بل سيستمر قرونًا ..

قرون طويلة ، قبل أن تنفد الطاقة ، ويعود جسده الزوريومى إلى ما كان عليه منذ البداية ..

فراغ ..

مجرَّد فراغ ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وحتى هذا الجسد ، المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، والذى امتزجت به جيناته الأصلية ، يرقد فى حالة عجيبة من الجمود ..

المادة نفسها تزخر بالطاقة ، ولكنه لا يستطيع تحريك أنملة منه ، لسبب يجهله تمامًا ..

القائد الأعلى فعل به شيئًا ما ، عندما لمسه ..

شىء لا تستطيع حتى طاقة (الزوريوم) فهمه ..

شىء غير أرضى ..

وغير بشرى ..

حتمًا ..

ولكن ، على الرغم من هذا ، فالمشكلة ليست فى سجنه ، الذى يبدو أنه سيستمر ، إلى نهاية العالم ..

المشكلة فى رفاقه ..

إنهم يعانون ..

ويتعذبون ..

ويواجهون خطرًا ، لا قبل لهم به ..

هذا ما رآه ..

أو ما أراه إياه ذلك القائد الأعلى ..

شىء ما فيه اخترق عقله ..

وغاص فى أعماقه ..

وأراه ..

أراه ما يحدث ..

وما سوف يحدث ..

أراه الحاضر ..

والمستقبل ..

اخترق معه حدود الزمان والمكان ، وجعله يشاهد ذلك المصير الرهيب ، الذى ينتظر رفاقه ..

كلهم سيفنون ..

كلهم ..

وبلا استثناء ..

حتى هذا العالم ، سيفنى ..

وسيضيع ..

إلى الأبد ..

« لا .. » ..

Looloo
www.dvd4arab.com

تفجَّرت تلك الصرخة قوية فى أعماقه ، وارتجّ لها جسده كله ..

لا .. لن يرقد هنا ساكنًا ، ويترك رفاقه يواجهون هذا المصير الرهيب ..

لن يستسلم لرؤية مستبقلية ..

فمهما كان وضوح الرؤية ، فالمستقبل لم يحدث بعد ..

والمستقبل بيد الله (سبحانه وتعالى) ..

أدهشه ذلك الشعور القوى ، الذى جاب كل خلية من خلاياه ، فور ذكره لاسم الله (عزَّ وجلَّ) ..

ومن أعمـق أعماقه ، استيقظت مع الكلمـة ، تلك المشاعر البشرية الجامدة ..

ومن كل خلجة من خلجاته ، انطلق الهتاف ..

هتاف باسم الخالق عزَّ وجلَّ ..

وانتفض جسده ..

انتفـض ..

انتفـض ..

وانتفض ..

ولسبب يجهله ، قفز إلى ذهنه اسم واحد ..

(س ــ 18) ..

ومع الاسم ، وثب سؤال مهم جدًا ..

لقد عاد الجميع ..

فأين (س ــ 18) ..

ماذا أصابه ؟!..

مـــاذا ؟!..

* * *

« هنـــا » ..

نطق القائد الأعلى الكلمة ، فى صرامة شديدة ، وهو يواجه الرائد (هيثـم) ، الذى حاول أن يتماسك ، مع ذلك الخوف العجيب ، الذى صار جزءًا من شخصيته ، منذ بدأ يرى القائد الأعلى بصورة جديدة ..

صورة مخيفة ..

مفزعة ..

ورهيبة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى تردد متوتر ، غمغم :

ــ هل نحتفظ به هنا ؟!

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ ما الذى ذكرك به ؟!

لم يدر (هيثم) حقًا بِمَ يجيب !..

لقد وثب الاسم فجأة إلى ذهنه ..

وثب ، وكأنما نبت من العدم ..

كان منهمكًا فى بعض الأعمال ، عندما وثب الاسم والسؤال إلى ذهنه ..

لقد عاد جميع أفراد الفريق ، والتاريخ يذكر الكثير عن لحظة اختفائهم ..

ولكن (س ــ 18) اختفى تمامًا ..

اختفى من التاريخ ..

ومن الوجود ..

وحتى من الأذهان ..

لا أحد يذكره ..

أو يتحدَّث عنه ..

أو يعلم حتى كيف يبدو ..

لا أحـد ..

على الإطلاق !!..

فكيف هذا ؟!..

كيـف ؟!..

« لم تخبرنى بعد ، ما الذى ذكَّرك بذلك الآلى ؟!.. »

بكل الصرامة ، انتزعـه القـائد الأعلى من أفكاره وتوتره ، فانتفض جسده ، وهو يقول فى سرعة :

ــ صدقنى يا سيِّدى .. لست أدرى !

كان يتوقَّع من القائد الأعلى ثـورة أو غضبًا ، فتراجع بحركة غريزية ، وهو يلقى عبارته ، ولكن القائد الأعلى تراجع فى مقعده ، وتطلَّع إليه طويلاً ، ورفع سبَّابته ، يداعب بها ذقنه ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول ، وكأنه يردد قوله :

ــ لست تدرى ؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت طويلاً ، وعلامات التفكير العميق تملأ وجهه ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وسأله فى اهتمام شديد :

ـ صف لى ما حدث بالضبط ؟!

حار (هيثم) فى الجواب ، فقلب كفيه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ لسـت أدرى حتى ماذا حـدث يا سـيِّدى .. كنت أؤدّى ما أمرتنى به ، وفجأة ، شعرت كأن السؤال قد اقتحم أعماقى ، وسيطر علىَّ ، حتى إنه دفعنى للقدوم إلى هنا ، و ...

قاطعه القائد الأعلى بإشارة من يده ، فابلتع باقى عبارته على الفور ، وبدأ يتنفَّس فى سرعة وتوتر ، وكأنه يواجه اختبارًا رهيبًا ، واتسعت عيناه نسبيًّا ، وهو يحدِّق فى القائد الأعلى ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وبدا كأنه قـد استغرق تمامًا فى تفكير عميق ، قبل أن يعتدل فجأة ، قائلاً :

ـ على أية حال ، إننا نحتفظ بجسده الآلى المنيع هناك ، فى قبو الحصن .

ردَّد (هيثم) بأنفاس مبهورة :

ـ فى قبو الحصن ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. فى القبـو السفلى .. داخل الحجرة الحصينة .. إنه هناك منذ زمن طويل .

ظلّ (هيثم) يحدِّق فى القائد الأعلى لحظات ، وهو لا يدرى ، حتى فى أعمق أعماقه ، لماذا ينبغى أن يثير هذا اهتمامه ..

إنهم يحتفظون بجسم (س ـ 18) هناك ..

داخل الحجرة الحصينة ، فى القبو السفلى للحصن .

ففيم يعنيه هذا ؟!..

ولماذا تصوَّر أنه يعنيه ؟!..

أو يمكن أن يعنيه ؟!..

لمـاذا ؟!

لم تستمر أفكاره طويلاً ، قبـل أن يقاطعه القائد الأعلى فى حسم ، قائلاً :

ـ هل تريد شيئًا آخر ؟!

انتفض جسده مرة أخرى ، وقال :

ـ مطلقًا يا سيِّدى .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى صـ[illegible]

Loolaa
www.dvd4arab.com

ــ عد لإكمال ما أمرتك به إذن .

قالها ، وذلك الجزء من الجدار يتموَّج ، معلنًا انتهاء الزيارة ، فتراجع (هيثم) نحوه ، وهو يقول فى توتر شديد :

ــ فورًا يا سيِّدى .. فورًا .

وثب عبر الفتحـــة التى تكونت فى الجدار ، والتى اختفت فور خروجه ، وعاد الجدار يتموَّج مرة أخرى ، ثم استعاد قوامه الصلب ، فتراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وقال لنفسه فى غضب :

ــ السؤال اقتحم أعماقه ، وسيطر على عقله !!.. من أقحمه إذن ، ولماذا ؟!

نهض مـــن خلف مكتبـــه ، ودار حـــوله ، ليقف فى منتصف الحجرة ، مكملاً :

ــ من غيرنا يمتلك تلـــك القـــدرة ، على الغـــوص فى عقول البشر ؟!.. من يمكنه هذا ؟!

تحرَّك مرة أخرى ، وهو يضيف :

ــ ولماذا (س ــ 18) ؟!

توقف فجأة ، وشردت أفكاره لحظة ، ثم استطرد فى صرامة :

ــ ولماذا (هيثم) ؟!

توقَّف لحظات فى تفكير عميق للغاية ، ثم اعتدل فى حسم ، وقال بمنتهى الحزم والصرامة :

ــ يبدو أنه لا مفر من تطبيق القاعدة الأساسية للقتال .. التضحية بالقطع ، التى يمكن ألا تجلب المتاعب ، لإخلاء الطريق أمام النصر .

اتجه مباشرة إلى جهاز الاتصال الهولوجرامى فوق مكتبه ، ومرَّر يده فوقه ، فظهرت شاشة الاتصال الهولوجرامية ، وعليها وجه قائد أمن الحصن ، الذى قال فى لهجة عسكرية صرفة :

ــ أوامرك أيها القائد الأعلى .

أجابه فى لهجة آمرة صارمة :

ــ الرائد (هيثم) قد يتجه ، فى أية لحظة الآن ، إلى الحجرة الحصينة ، فى القبو السفلى .. مرَّ من توليهم ثقتك من رجالك ، أنهم لو رأوه يفعل ..

صمت لحظة ، ثم أضاف بمنتهى الصرامة :

ــ أن يقتلـــوه .

على الرغم من الدهشة العارمة ، التى تملَّكت قائد أمن الحصن ، إلا أنه ظلّ محتفظًا بلهجته العسكرية الصرفة ، وهو يقول :

ــ أمرك يا سيِّدى .

Looloo
www.dvd4arab.com

أنهى القـائد الأعلى الاتصال ، وصمت لحظـات ، وهو يقف وقفة مشدودة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ المشكلة أنك ، حتى لو تجاوزت كل هذا ، فلن تجد ذلك الآلى هناك أيها الرائد .. ولن تعرف أين هو أبدًا .. أبدًا .

نطقها بكل الصرامة ..

وكل الوحشية ..

كلهـا ..

* * *

عجيبة هى سرعـة رد الفعـل ، التى يكتسبها من اعتادوا مواجهة الخطر ..

وبخاصة من عايشوه طويلاً ..

وعرفوه ..

وألفـوه ..

وصار جزءًا من حياتهم اليومية ..

ففى نفس اللحظة ، التى ارتفع خنجر (هاشم) ؛ ليهوى على قلب (نور) ، وثب (أكرم) .

لم تكن المسـافة ، التى تفصله عـن (نور) كبيرة ، ولكن سرعة رد فعله كان لها تأثير كبير ..

كبير جدًا ..

ففى أقل من الثانية ، كانت أصابعه الفولاذية ، تقبض على معصم (هاشم) ، قبل أن يبلغ نصل خنجره قلب (نور) ، بسنتيمتر واحد ..

وعندما اكتملت الثانية ، كان يلـوى معصم الرجـل فى قوة ، وهو يهتف فى صرامة شديدة :

ـ إياك و(نور) .

وفى الثانية التالية ، كان يضرب قدم (هاشم) إلى الأمام ، ويلوى ذراعه إلى الخلف ، فاختـل توازن الرجل ، وسقط منه خنجره ، وارتطم بالأرض فى عنف ، وجثم (أكرم) فوقه ، وهو يضيف :

ـ إنه صديقى .

المدهش أن (هاشم) لم يغضب ..

ولم يقـاوم ..

أو حتى يثور ..

إنه ، على العكس تمامًا ، ابتسم فى وجه (أكرم) ، مغمغمًا فى لهجة أشبه بالفخر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .

استفزَّ هذا الأسلوب البارد (أكرم) ، فرفع قبضته المضمومة ، ليهوى بلكمة غاضبة على وجـــه (هاشم) ، إلا أنه فوجئ بيد (نور) من خلفه تمسك قبضته ، وسمع صوته يقول :

ــ لا تفعل .

وأضاف (رمزى) فى هدوء ، لا يتفق مع الموقف :

ــ إنه لم يقصد قتل (نور) .

قال (أكرم) فى عصبية :

ــ ولكنه كاد أن يفعلها .

أجابه (رمزى) ، وهو يشترك مع (نور) ، فى إبعاد قبضته :

ــ إنه رد فعل غريزى ، لمقاتل هارب ، يختفى وسط الأطلال وحيدًا ، منذ سنوات .

غمغم (هاشم) ، دون أن يقاوم :

ــ هذا صحيح .

حدَّق (أكرم) فيه بضع لحظات بلا اقتناع ، حتى قالت (نشوى) فى خفوت :

ــ لا بأس .. اتركه .

وأضافت (سلوى) فى توتر شديد :

ــ اتركه يا (أكرم) .. أرجوك .

أطلق (أكرم) زفرة عصبية طويلة ، قبل أن يقول :

ــ لا بأس .. مادمتم تصرّون .

أفلت الرجل ، وابتعد عنه فى عصبية ، فابتسم (هاشم) مرة أخرى ، واعتدل جالسًا ، وهو يقول :

ــ تمامًا كما قرأت عنك ، فى كتب التاريخ .

قال (أكرم) فى عصبية ، دون أن يلتفت إليه :

ــ لست مستنًّا إلى هذا الحد .

واصل (هاشم) وهو ينهض ، متجاهلاً تعليق (أكرم) تمامًا :

ــ قوى ، وكريم ، وعنيف ، وعطوف .. تملك أخلاقًا شديدة التحضُّر ، ولكنك تعبِّر عنها بأسلوب شديد البدائية .

تجاهله (أكرم) تمامًا هذه المرة ، حتى أضاف فى إعجاب واضح :

ــ لقد كنت ملهمى ، فى السنوات التى قضيتها بين الأطلال .

قال (نور) فى حزم ، وهو يربّت على كتف (هاشم) :

www.dvd4arab.com

ـ سيِّد (هاشم) .. من الواضح أنك شخص مثقف ، بالنسبة لأبناء هذا العصر .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

ـ ولديك دراية علمية كبيرة أيضًا ، بدليل ذلك السلاح الذى صنعته ، وأسقطت به هذه الدودة العملاقة .

ألقى (هاشم) نظرة على الدودة الآلية ، قبل أن يعتدل نَحو (نور) ، قائلاً :

ـ ما زلت هناك واحدة .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ أهم ثلاث ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا ما أحصيته من قبل .

أشـار (نـور) إلى (رمزى) أن يتابع الحديث ، وهو يقول لـ (هاشم) :

ـ قالت : إنك تحاول الفرار منذ ثلاث سنوات ، بالنسبة لرجل مثلك ، لابد أنك قد اكتسبت خبرة كبيرة ، فى هذا المضمار .

هزَّ (هاشم) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

صمت لحظة ، وكأنه سيكتفى بهذا القدر ، إلا أنه لم يلبث أن أضاف :

ـ ومع محاولاتى العديدة ، اكتسبت خبرة واحدة مؤكدة .

سأله (نور) فى هدوء :

ـ وماهى ؟!

مال نحوه بشدة ، مجيبًا فى حزم :

ـ إن اختراق ذلك الحاجز مستحيل .

بدا من الواضح أن (نور) كان يتوقع هذه العبارة ، فقد ظلت مَلامحه حادة حازمة ، وظلّ ساعداه معقودين أمام صدره ، وهو يقول :

ـ بالنسبة إليك .

حملت كلمات (هاشم) بعض العصبية ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. ربما يعتبرك أهل هذا العصر أسطورة ، ولكن تاريخك يقول : إنك مجرَّد رجل بارع ، ولم يسبقه أو يفوقه من إنقاذ الأرض من الكارثة ، ولو أنك تتصور أنكم أبرع منى ، فأنت ...

Looloo

قاطعه (رمزى) ، محاولاً تهدئته :

ـ (نور) يقصد أننا فريق علمى ، والأمور بالنسبة لنا تختلف .

أشار (هاشم) بسبَّابته ، وهو يقول فى عصبية :

ـ إنكم لم تخترقوا ذلك الحاجز بعد .

قال (نور) فى حزم :

ـ ربما لهذا نحتاج إليك .

قال (هاشم) ، فى استهتار عصبى مفتعل :

ـ ولماذا ؟!.. ألستم الأسطورة ؟!

كان (نور) يتخذ وقفته الحازمة الجامدة ، حتى هذه اللحظة ، ولكنه فاجأ الجميع باندفاعة مباغتة نحو (هاشم) ، جذبه خلالها من بقايا سترته القديمة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اسمع يا هذا .. أما زلت تسعى للفرار ، أم إن اليأس قد حوّلك إلى فأر مذعور ، كل ما يسعى إليه هو الاختباء من أنياب القط ؟!

انتفض (هاشم) محاولاً تخليص نفسه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لم أتوقَّف عن المحاولة لحظة واحدة .

اخترق (نور) عينيه ببصره ، وهو يقول ، فى صرامة أشد :

ـ فلنتعاون معًا إذن .

جذب (هاشم) سترته القديمة من يد (نور) ، وحاول تعديل ثيابه شبه المهترئة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ وماذا يمكنكم أن تضيفوا ؟!.. كل ما أراكم تحملونه ، كومة من الآلات الرقمية القديمة ، فى مواجهة حاجز ، هو تحفة تكنولوجية حقيرة .

قالت (نشوى) فى ثقة :

ـ لا تقلق من هذا ، سنحصل على أدوات أحدث .

سألها فى حـدة :

ـ من أين ؟!..

أشارت (سلوى) إلى الدودة العملاقة ، مجيبة :

ـ من هذه .

ولم يفهم الرجل ما تعنيه ..

ولم يكن بإمكانه أن يفهم ..

مطلقًا ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

التفَّ ذلك الفريق حول المنزل الآمن ، أو الذى كان من المفترض أنه آمن ، وحاصره حصارًا كاملاً ، ليحيطه إحاطة السوار بالمعصم ، وهمس أحد الرجال إلى قائد الفريق :

ـ يفترض أنهم هنا .. أليس كذلك ؟!

أجابه قائد الفريق ، فى حزم واقتضاب :

ـ إنهم هنـــا .

سأله متوترًا :

ـ وما الذى علينا أن نفعله ؟!

التفت إليه القائد ، بنظرة شديدة الصرامة ، وهو يقول :

ـ تنفذ الأوامر .

ارتبك الرجل بشدة ، وبدأ يبتعد فى سرعة ، وهو يقول مضطربًا :

ـ أعلم هذا يا سيِّدى .. كنت فقط أتصوَّر أن هناك المزيد .

قلب قائد الفريق شفتيه فى ازدراء ، وهو يتابعه ببصره ، ثم لم يلبث أن انشغل عنه بتوجيه إشارة إلى باقى الفريق ، فتحرَّك الرجال فى حذر ، حتى صاروا قيد خطوات من المكان ، و ...

وانقضوا فجأة ..

وكانت انقضاضة احترافية بحق ..

لقد انقسموا ، لحظة الهجوم ، إلى ثلاث فرق ..

فرقة انقضَّت على باب المكان ..

وثانية على نافذته الوحيدة ..

والثالثة اتخذت مواقعها ، تحسبًا لأية مفاجآت ..

وعندما اقتحموا المكان ، كانوا يتوقعون أن تنتهى العملية فى دقيقة واحدة على الأكثر ..

ولكن ، كانت فى انتظارهم مفاجأة ..

مفاجأة قوية ..

للغـــاية .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

4 ـ المفـاجـأة ..

توتر عنيف ، ذلك الذى سرى فى جسد الدكتور (راشد) ، وهو يراقب آلات التصوير الرقمية السرية ، التى يحفظ أماكنها عن ظهر قلب ، والتى تراقب ذلك المعمل الخاص ، الذى لا يدخله إلا القائد الأعلى وحده ، منذ أكثر من خمسة أعوام .لقد تساءل لفترة طويلة ، عن سر ؛ إغلاق هذا المعمل بالتحديد ، وإحاطته بكل تلك السرية ، ووسائل الأمن شديدة التعقيد !!..

المفترض أنه رئيس أطقم العلماء ، العاملة فى الحصن ، والتى تعد أبرع عقول فى هذا العصر ، وعلى الرغم من هذا ، فلا هو ، ولا أى من العلماء ، مصرَّح لهم بدخول هذا المكان ، الذى يحمل لافتة معمل ..

فما الذى يمكن أن يحويه هذا المعمل ؟!..

أى سر يخفيه ؟!..

بل أى غموض ؟!..

توقَّف لحظات ، بكل التوتر فى أعماقه ، يتطلَّع إلى المعمل ، الذى لن يمكنه حتى بلوغ بابه ، دون أن ينكشف أمره ، وعاد يتساءل : ماذا لو أنه ليس معملاً فعليًا ؟!..

ماذا لو أن هذا الباب يخفى شيئًا آخر ؟!..

شيئًا لا ينبغى لأحد معرفته ، سوى القائد الأعلى ..

أو من يعلوه ..

وهنا يكمن سؤال آخر ..

سؤال طرح نفسه لسنوات ، قبل أن يسجنه الجميع فى أعماقهم ، ويحبسونه خلف ألسنتهم ، ويخشون حتى مجرَّد الإفصاح عنه ..

من يعلو القائد الأعلى ؟!..

من يحكم البلاد فعليًا ؟!

مـــن ؟!..

لا أحد يعلم ..

ولا أحد يدرى ..

ولا أحد حتى يسأل ..

فقط القائد الأعلى من يرون ..

ويعرفون ..

ويواجهون ..

فهل هو من يحكم البلاد فعليًا ؟!..

ولو أنه كذلك ، فمن يأتيه بالأوامر ، التى يرجح دومًا أنه يتلقَّاها ؟!..

مـــن ؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

كان يراقب المكان ، حتى تناهى إلى مسامعه فجأة صوت خطوات تقترب ، فخفق قلبـه فى عنف ، وحبس أنفاسه فى شدة ، وهو يتراجع ، ويختبئ فى ركن مظلم ، أخفاه عن الأنظار ..

وراحت تلك الخطوات تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم مرَّ به جسد يعرفه جيدًا ..

جسد القائد الأعلى ..

مرَّ به ، وتجاوزه دون أن يشعر به ، واتجه نحو ذلك المعمل مباشرة ..

ولهث الدكتور (راشد) فى أعمق أعماقه ..

القائد الأعلى يتجه نحو ذلك المعمل ، ولديه فرصة واحدة لرؤية ما بداخله ، عندما يفتح القائد بابه ..

فرصة ، قد لا تتكرَّر أبدًا ، لاختلاس نظرة واحدة إلى داخل المعمل ..

نظرة ، قد تمنحه فكرة واضحة عما يوجد هناك ..

أو عما يدور هناك ..

نظرة هى فرصة ، لا ينبغى كعالم أن يضيعها أبدًا ..

مهما كان الثمن ..

وبمنتهى الحذر ، مال الدكتور (راشد) برأسه ، وحاول أن يشاهد ما سيفعله القائد الأعلى ، عند المعمل الغامض ..

ومن منظوره ، وزاوية رؤيته ، توقَّف القائد الأعلى أمام ذلك المعمل ..

لم يتوقف أمام بابه ، وإنما أمام جداره ..

وبحركة هادئة ، مرر يده على جزء من ذلك الجدار ، ثم تراجع خطوتين ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة ..

ولدهشة الدكتور (راشد) ، انبعث ضوء عجيب ، من عدة أماكن خفية بالجدار ، وراح يدور حـول القائد الأعلى ، الذى ظلّ على وقفته العسكرية الصارمة ، متجاهلاً ما يحدث تمامًا ..

ولثوانٍ ، ظلَّت تلك الأضواء العجيبة تجوس جسد القائد الأعلى ووجهه ، قبل أن تحدث فجأة ظاهرة عجيبة ..

ظاهرة انتفض معها الدكتور (راشد) فى عنف ..

Looloo
www.dvd4arab.com

انتفض لأن ما رآه أمامه كعالم ، يخالف كل ما تعلَّمه ورصده فى حياته ..

بل يخالف كل القواعد الفيزيائية المعروفة ، منذ بدء الخليقة ..

فى عالمنا على الأقل ..

لقد انفصلت تلك الأضواء العجيبة عن الجدار ، وراحت تدور حول جسد القائد الأعلى ، كما لو أنها ثعابين ضوئية ..

ثم راح ضوؤها يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

حتى اختفى تمامًا ..

وعندئذ ... عندئذ فقط ، تألق جزء مستطيل من الجدار ، ثم اختفى تمامًا ..

ولأوَّل مرة فى حياته ، شاهد الدكتور (راشد) ما وراء الجدار ..

وماذا داخل ذلك المعمل الغامض ..

وكمن أصابه مس كهربى عنيف ، انتفض جسد الدكتور (راشد) بمنتهى القوة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، على نحو لم يحدث فى عمره كله من قبل ..

فما رآه هناك ، خلف ذلك الجدار ، كان مذهلاً ..

وبكل المقاييس ..

بل كان مفاجأة ..

مفاجأة عنيفة ..

قاسية ..

رهيبة ..

بلا حدود ..

* * *

فى دهشة حقيقية ، جلس (هاشم) فوق صخرة كبيرة ، يراقب ما تفعله (سلوى) و(نشوى) ، وما يعدُّه (نور) و(رمزى) ووضع قوسه على ساقيه ، وجعبة الأسهم إلى جواره ، وجاء (أكرم) ، فانضم إليه وناوله زمزميته ، قائلاً :

ــ ألم تشعر بالعطش بعد ؟!

هزَّ (هاشم) رأســه نفيًا ، دون أن يجيب ، فتناول (أكرم) جرعة ماء ، وراقب رفاقه بدوره ، وهو يقول :

ــ أنا أيضًا لا أستطيع استيعاب ما يفعلونه .

ابتسم (هاشم) ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

ــ أعلم هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

التفت إليه (أكرم) ، فى دهشة متسائلة ، فتابع فى هدوء :

ـ هذا ما ذكره عنك التاريخ .

قال (أكرم) فى ضيق :

ـ إشارتك المستمرة للتـاريخ ، تجعلنى أشعر كأننى مومياء قديمة ، انبعثت فى عصر حديث .

أجابه (هاشم) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ إنك كذلك .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة غاضبة ، ولكنه تابع ، وكأنه لم يلمح هذا :

ـ كلكم كذلك .. لقد بعثتم مرة أخرى ، فى زمن لا تنتمون إليه على الإطلاق .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ ولكننا نتعايش معه .

ابتسم (هاشم) ، فى شىء من السخرية ، قائلاً :

ـ تحاولون هذا..

تفجَّر غضب كبير فى نفس (أكرم) ، فأمسكه من ذراعه فى قوة ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا لو أنك لا تؤمن بفريقنا ، ولا تحترم وجودنا ، فلماذا تبقى معنا ؟!

ظهر (نور) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

ـ رويدكما .. دعونا ندخر كل طاقتنا ، فى مواجهة ذلك الحاجز العجيب ، ولا نضيعها فى خلافات ومشاجرات خفية ..

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ دعـه يطبق شفتيه على أسنانه إذن ، لو أنه يرغب فى الاحتفاظ بها .

التفت إليه (هاشم) فى تحدٍّ ، قائلاً :

ـ عظيم .. دعنى أرى كيف ستفقدنى إياها ، فلن أطبق شفتىَّ أبدًا .

وعلى عكس المتوقَّع ، ابتسم (نور) ، وجلس إلى جوارهما ، قائلاً :

ـ هل تعلمان ما مشكلتكما ؟!

التفتا إليه معًا بنظرة متسائلة ، ملؤها التوتر ، فأردف :

ـ أنكما متشابهان .

قال (أكرم) فى عصبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أوليس المفترض أن يجعلنا هذا أكثر تفهُّمًا ؟!

اقترب (رمزى) ، وهو يشير إليه بيده ، قائلاً :

ـ هـذا يعتمد على طبيعتكما الشخصية الأساسية ، فالمشكلة الفعلية أن كليكما يتمتّع بروح زعامة ، تجعله غير قابل لطاعة الأوامر ، وروح التحدى داخلكما عالية ، ضاعف منهـا عمر التعايش مع مخاطر الأطلال لفترة طويلة ، وما يحدث الآن هو أن كلاً منكما يسعى لإثبات أنه الأفضل .

ابتسم (هاشم) فى سخرية ، فى حين قال (أكرم) ، بعصبيته التقليدية :

ـ ألم يقل إننى مثله الأعلى ؟!

قال (هاشم) فى برود مستفز :

ـ تاريخيًا ، وليس على أرض الواقع .

بدا من الواضح أن (أكرم) سيشترك معه فى نقاش حاد ، ولكن (نور) استوقفهما فى صرامة ، قائلاً :

ـ (سلوى) و(نشوى) حصلتا على أدوات مناسبة .

عبارته كانت كافية ، لجذب انتباههما معًا ، فأكمل فى حزم :

ـ وعلينا أن نتوجه الآن إلى ذلك الحاجز .

قال (هاشم) ، وهو ينهض فى حزم :

ـ (كوباء) يا رجل .. اسمه (كوباء) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ وكم يبعد (كوباء) هذا عنا ؟!

أدار (هاشم) بصره إلى الغرب ، وقال :

ـ مسيرة نصف يوم ، لو أننا لم نتوقَّف .

تطلَّع (نور) إلى حيث أشار ، وقال :

ـ والشمس توشك على المغيب ، مما يعنى أننا سنقطع مسافة قليلة ، قبل أن نضطر للتوقُّف .

قالت (سلوى) فى إرهاق :

ـ أو نعسكر هنا ، ونبدأ حركتنا مع أول ضوء ، من صباح الغد .

جلست (نشوى) لاهثة ، على حجر قريب ، وقالت :

ـ إننى أؤيِّد هذا الاقتراح .

اكتفى (رمزى) بهز كتفيه ، دون تعليق ، وأدار (نور) عينيه إلى (أكرم) ، الذى تبادل نظرة مع (هاشم) ، قبل أن يقول فى حزم :

Loolo

ــ وأنا أرفضه بشدة .

أطلّت دهشة متوترة ، من عيــون (سلوى) و(نشوى) ، ولكنه تابع بنفس الحزم ، مضيفًا إليه شيئًا من الصرامة :

ــ لقد أسقطنا دودتين عملاقتين آليتين هنــا ، ومن حسن حظنا أنه لم يأت أحد للبحث عنهما بعد ، ولكن البقاء هنا بمثابة النوم فى مسرح الجريمة ، انتظارًا لوصول الشرطة .

غمغم (نور) مبتسمًا :

ــ هذا صحيح .

فأضاف (هاشم) ، فى حزم هادئ :

ــ والقاعدة الأولى ، للعيش وسط الأطلال ، هو ألا تبقى أبدًا فى مكان ، يمكن أن يدركه العدو ؛ فالريسة ينبغى ألا تتوقّف عن مناورة الصياد مطلقًا .

قالت (نشوى) فى توتر :

ــ هذا يعنى أننا الفريسة .

علّق (هاشم) جعبته على كتفه ، وحمل قوسه ، و(أكرم) يقول :

ــ بالتــأكيد .

نهضت (سلوى) فى صعوبة ، وعاونت (نشوى) على النهوض ، فى حين قال (رمزى) فى حزم ، وهو يتجه نحو الآلات الرقمية ، التى استخرجوها من الدودة العملاقة :

ــ الرجال سيحملون الآلات .

قال (هاشم) فى لا مبالاة :

ــ لن أحمل شيئًا .

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ــ ستحملها .

تردّد (هاشم) لحظة فى عصبية ، فربّت (أكرم) على كتفه ، قائلاً :

ــ كلنا سنحملها .

تحرّك (هاشم) بالفعل نحو الآلات ، مع (أكرم) و(رمزى) ، وعندما انحنى ليلتقط إحداهما ، باغته (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ــ من أين فررت يا (هاشم) ؟!.. ومن كنت تفر ؟!

كان يمكن أن يبدو السؤال عاديًا ، لولا أن قال (هاشم) ..

Looloo www.dvd4arab.com

لقد تسمَّر فى مكانه تمامًا ، وتجمَّد لحظة ، كما لو أنه قد تحوَّل إلى تمثال من الرخام البارد ، ثم لم يلبث أن عاود الحركة ، وهو يقول متحاشيًا النظر إلى (نور) :

ـ من كل شىء .

سؤال (نور) التالى ، بدا صارمًا أكثر :

ـ من بالتحديد ؟!

وفى هذه المرة ، لم يكن هناك مَفر ..

لقد نهض (هاشم) ، دون أن يحمل تلك الآلة ، واستدار فى بطء يواجه (نور) ، وهو يقول :

ـ إلى ماذا تسعى بالضبط ، أيها المقدَّم (نور) ؟!

شد (نور) قامته فى تحدٍّ ، واكتسب صوته صرامة أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ اعتراف ؟

ولأول مرة ، بدا (هاشم) عصبيًا ، وهو يقول :

ـ اعتراف بماذا ؟!

كانت العيون كلها متجهة نحوه ، والتساؤل يطل منها جميعًا ، ممتزجًا بشىء من الدهشة والتوتر ، ولكن (نور) قال فى حزم :

ـ بأنك من رجال الحصن .

كان سـؤال (نـور) مفاجئًا للجميع ، واتسعت معه عيونهم جميعًا ، إلا أن هذا لم يقارن بما أصابهم ، عندما قال (هاشم) فى حزم ، بعد لحظة من الصمت :

ـ هذا صحيح .

وكانت مفاجأة ..

أكبر مفاجأة ..

* * *

شد الذئب قامته ، وعقد ساعديه خلف ظهره ، على نحو جعله أشبه بزعيم نازى قديم(*) ، وهو يواجـه (مشيرة) صامتًا ، فشعرت هذه الأخيرة بتوتر شديد ، يسرى فى كيانها كله ، وهى تقول فى عصبية :

ـ هيا .. أخبرنى لماذا ؟!

(*) النازية : اختصار لعبارة ألمانية ، تعنى (العنصرية المحلية) أو (الزهو العنصرى العرقى) ، ولقد بدأت بين الشباب الألمانى ، كتطوير للفاشية ، على الجانبين اليمينى واليسارى من السياسة ، ولكنها تحوَّلت إلى أسلوب حكم ، من عام 1933م ، مع تولى (هتلر) السلطة ، حتى عام 1945م ، عندما سقطت (ألمانيا) النازية ، عقب الحرب العالمية الثانية .

Looloo
www.dvd4arab.com

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يسألها فى برود :

ـ لمـاذا مـاذا ؟!..

قالت فى عصبية أكثر :

ـ لماذا أحضرتنى إلى هنا ؟!

ابتسم دون أن يجيب ، وتحرّك فى المكان فى بطء نسبى ، قبل أن يتوقّف ، مولياً إياها ظهره ، ويقول فى صرامة :

ـ يمكنك القول بأنك وثيقة تأمينى .

لم تفهم ما يعنيه ..

أو لم يمكنهـا اسـتيعابه ، على الرغم من تاريخهـا الطويل كصحفية لامعة ..

لم تفهم ، حتى إنها حدّقت فيـه لحظـات ، وهو مازال يوليها ظهره ، ثم قالت فى عصبية ، امتزجت بالخوف هذه المرة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

قال فى صرامة شديدة :

ـ الكثير .

ثم التفت إليها بحركة حادة مباغتة ، جعلتها تنتفض فى عنف ، وهو يقول ، فى لهجة أشبه بالصراخ :

ـ والكثير جدًا أيضًا .

تراجعت (مشيرة) فى ذعر ، حتى حال الجدار بينها وبين الاستمرار ، فالتصقت به فى شدة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، حتى كادت تفرغ ما بجوفها ، مع أنفاسـه شـبه اللاهثة ، وهو يقول فى صرامة ، حملت الكثير من العصبية :

ـ ماذا لو أنهم عادوا ، من رحلتهم المميتة هذه ، وقرروا إزاحتى عن طريقهم ؟!.. ماذا ؟!

تلاحقت أنفاسها ، وهى تقول :

ـ لو أن هذا لصالح (مصر) ، فمن الـ ...

قاطعها بصرخة هادرة :

ـ هـراء .

صرخة جعلتها تلتصق بالجدار أكثر ، وتتمنى لو أنه استطاع ابتلاعها داخله ، وإنقاذها من ذلك الرجل ، الذى لم يبد أبدًا أشبه بذئب حقيقى مفترس ، مثلما بدا فى هذه اللحظة ..

وفى قوة ، انتفض جسدها كله ، وهو يتراجع بحركة عنيفة ، قائلاً ؛ وجسده أيضًا ينتفض ، من فرط الانفعال :

ـ لا تخبرينى بهذا الهراء ، الـذى تسيطرون به على العامة والدهماء .. لا تستخدمى معى اللعبة نفسها ، التى تستخدمونها معهم .

امتقع وجهها ، وهى تقول :

ـ أهذا ما ترى الأمر به ؟!.. هراء ولعبة ؟!

عاد يميل نحوها ، على نحو شديد الحدة ، وهو يقول :

ـ لا تحاولى العبث يا امرأة .. أنت تعلمين مثلى أنها ، أولاً وأخيرًا لعبة سيطرة .. قوة .. سلطان .. اللعبة كلها تدور حول من يحتل القمة .. من يجلس على العرش .

والتمعت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

ـ من يضم قبضته على الجميع ، ويملك أن يعتصرهم وقتما يشاء ، أو يفلتهم كيفما يشاء .. السلطة يا ملكة الإعلاميين .. السلطة .. نفس ما قاتلت أنت مـن أجله ، عندما كنت رئيسًا لأنباء الفيدو .

قالت غاضبة ، على الرغم من ارتجافة صوتها :

ـ ليست السلطة ما كنت أسعى إليه يا رجل .. بل التفوق .

انطلقت من حلقه فجأة ضحكة ساخرة عالية مجلجلة ، قبل أن يقول ، فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ـ ألم أقل لك أنك تعبثين ؟!.. ما الفارق أيتها العبقرية ، بين التفوق والسلطة ؟!.. التفوق هو المصطلح الأنيق ، الذى يستخدمه

المثقفون ، لإخفاء نزعتهم إلى السلطة .. التفوق يعنى أيضًا التواجد على القمة .. نفس اللعبة ، ولكن بمسميات مختلفة .

غلب غضبها خوفها ، وهى تقول :

ـ خطأ أيها المدّعى .. التفوق أمر فردى ، فلو أنك تفوقت على أقرانك ، فستصبح على قمتهم ، ولكنك أبدًا لن تملك أية سلطة ، أو قدرة على السيطرة عليهم ، ولن تحاول حتى هذا ؛ لأسباب لن يمكنك استيعابها قط .

أطلق ضحكة ساخرة عصبية ، وتراجع مبتعدًا عنها ، ولكنها تابعت فى غضب :

ـ فالشخص الذى يسعى للتفوُّق ، يؤمن حتمًا ، كجزء من تكوينه بالحرية ، وهـذا يتعارض تمامًا مع السيطرة والسطوة وكل ما تتحدَّث عنه .. هذا لأن الإيمان بالحرية يعنى إيمانك بحرية الآخرين ، تمامًا كإيمانك بحريتك .

هزَّ رأسه فى عصبية ، وقال :

ـ محاضرة عبثية أخرى .

وعاد يستدير إليها ، قائلاً فى شراسة :

ـ ولن أستمع حتى إليها .

Looloo
www.dvd4arab.com

قلبت شفتيها فى امتعاض ، قائلة :

ـ وهل تتصوّر أننى أهتم بسماعك إياها ؟!

صمت لحظات ، وهو يرمقها بنظرة شرسة ، قبل أن يقول :

ـ كـلاّ .

ابتعد عنها ، واتجه نحو مقعـده ، وجلس عليه فى عظمة ، كما لو أنه يملك العالم ، ثم قال :

ـ زوجك ارتكب أكبر خطأ فى حياته ، عندما تركك خلفه هنا .

قالت فى مقت :

ـ لست أظن زوجى من يرتكب الأخطاء هنا .

ابتسم فى سخرية عصبية ، وتجاهل قوتها تمامًا ، وهو يضيف :

ـ وإن كنت أجهل حتى لماذا يوليك اهتمامًا .

بدا التوتر فى ملامحها ، وحاولت الإشاحة بوجهها ، وكأنما تحاول إخفاء علامات العمر ، المحفورة عليه ، إلا أنه تابع فى قسوة :

ـ إنه ، عمليًا ، يصغرك الآن ، بربع قرن على الأقل .

أصابتها عبارته فى الصميم ، واعتصرت قلبها فى عنف ، وحاولت أن تكتم دموعها فى أعماقها ، حفاظًا على كرامتها ، إلا أنها عجزت عن هذا ، فسالت الدموع مرغمة على وجنتيها ، مما أورثه شعورًا بالظفر ، جعله يتابع فى قسوة :

ـ متى نظرت إلى وجهك فى المرآة آخر مرة ؟!

تفجرت دموعها أكثر ، واختنق صوتها ، وهى تهتف غاضبة ، وإن عجزت عن كتمان تلك المرارة ، التى تفجّرت كالبركان فى أعماقها :

ـ (أكرم) يحبنى .

قال الذئب فى سرعة :

ـ إلى متى ؟!

كانت ترغب فى إخفـاء دموعها عنـه بقدر الإمكان ، إلا أن سؤاله الأخير جعلها تلتفت إليه بحركة حادة ، فتابع ، وعلى شفتيه ابتسامة ذئب وحشى حقيقى :

ـ إنه يحيا الآن ثورة عاطفية ، ستغمر كيانه كله لعام أو يزيد على الأكثر ، ثم لن يلبث أن ينتبه إلى أنه قـد ربط حياته بعجوز شمطاء ، تتغضن ملامحها أكثر كل يـوم ، وستهفو نفسه إلى صبية حسناء ، تتناسب مع رجولته وعنفوانه .

Looloo
www.dvd4arab.com

تمتمت ودموعها تنهمر فى غزارة شديدة ، والمرارة تفوح من كل حرف من حروف كلماتها :

ـ هذا ليس (أكرم) .

التمعت عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

ـ إنه رجل .

شهقت بدموعها ، وهى تصرخ فيه :

ـ أنت حقير .

نهض فى صرامة ، قائلاً :

ـ وواقعى .

شهقت بدموعها أكثر وأكثر ، وراحت تنتحب على نحو عنيف ، فالتقط هو نفسًا عميقًا فى ظفر ، واتجه إليها مباشرة ، وأخرج زجاجة صغيرة من يده ، وهو يضيف :

ـ ولدىَّ الحل أيضًا .

على الرغم منها ، أدارت بصرها إلى تلك الزجاجة التى يحملها ، ثم رفعت عينيها إليه فى تساؤل متوتر ، جعله يستطرد :

ـ كما سترين بنفسك .

عاد إلى منضدته ، وأخرج من تحتها قفصًا صغيرًا ، من أقفاص الطيور ، كمنت داخله هرة كبيرة خائفة ، أشار إليها ، قائلاً :

ـ هل ترين كم يبلغ حجمها ؟!.. بكم تقدرين عمرها يا سيِّدة (مشيرة) ؟!

لم تجب (مشيرة) ، وهى تنظر إليه فى توتر ، فأكمل ، وكأنه لم يكن ينتظر جوابًا منها :

ـ عمرها يبلغ عشر سنوات ، وبمقاييس أعمار الهرة ، وهى هرة عجوز .

وعاد يميل نحوها ، مردفًا بأسلوب بغيض :

ـ مثلك يا سيِّدة (مشيرة) .

قالت فى عصبية ، محاولة إخفاء خوفها :

ـ ماذا أصابك ؟!.. هل أصبحت مهذَّبًا فجأة .. كنت منذ قليل تنادينى يا امرأة ؟!

تجاهل عبارتها تمامًا ، وهو يكمل ، ملوِّحًا بالزجاجة الصغيرة :

ـ تُرى ماذا يمكن أن يحدث ، إذا ما وضعنا فى فمها قطرة أو قطرتين ، من هذا السائل .

ولم تجب (مشيرة) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكن قلبها خفق فى قوة ..

أمن الممكن أن يعنى ما فهمته ؟!..

هل يمكن أن يكون الحلم حقيقة ، إلى هذا الحد ؟!..

هـل ؟!..

فتح الذئب الزجاجة بالفعل ، ثم أسقط قطرة منها على فم الهرة ، التى لعقتها فى لهفة ، توحى بأنها شديدة العطش والظمأ ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

لقد لعقت الهرة قطرة السائل ، ثم استكانت على أرضية القفص ، وتطلّعت إليه فى لهفة ، وكأنها تنشد المزيد ، فرفع عينيه إلى (مشيرة) ، قائلاً :

ـ تابعى جيدًا .

وعلى الرغم من خفقات قلبها العنيفة ، حدّقت (مشيرة) فى تلك الهرة فى لهفة .

حدّقـت ..

وتابعت ..

وتلهّفت ..

وتطلعت ..

وامتلأت نفسها بالأمل ..

ولكن شيئًا أيضًا لم يحدث ..

لقد ظلّت الهرة ساكنة ، متلهفة على قطرة أخرى ، تتطلّع إلى الذئب فى ضراعة عجيبة ، و ...

وفجأة ، حدثت تلك الانتفاضة ..

انتفض جسد الهرة فى عنف ..

وانتفض معه جسد (مشيرة) ، على نحو أعنف ..

ففى المكان كله ، دوت صرخة الهرة المسكينة ..

وفى عنف ، تلوّى جسدها ..

ولكن ما حدث بعدها ، كان حقًا مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

بشـدة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

5 ـ عيـن الظـلام ..

ظلام شبه تام ، ذلك الذى أحاط بابن (نور) وحفيديه ، وهم يسيرون مع الدُّب ، عبر ذلك الممر الطويل ..

لم يكن أحدهم ، باستثناء الأخير ، يعلم إلى أين يقودهم هذا !..

وعلى الرغم من هذا ، لم ينطق أحدهم بحرف واحد ، لما يقرب من نصف ساعة كاملة ، قبل أن يتساءل (طارق) فى صرامة :

ـ إلى أين المفترض أن يقودنا هذا ؟!

أجابه الدُّب ، بصوته الغليظ ، ولهجته الصارمة :

ـ إلى منطقة آمنة .

عاد (طارق) يسأله :

ـ أين بالتحديد ؟!

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يقول الدُّب :

ـ مقر سرى ، مخفى بدقة وسط الأطلال القديمة ، على قيد أمتار قليلة من مقر الذئب .. مقر لا يعرفه سوانا .. هو وأنا .. كنا ندخره كمخبأ لنا ، إذا ما تعقَّدت الأمور .

غمغم (طارق) الصغير فى صرامة :

ـ كنتم تنوون الفرار من السفينة ، إذا ما أوشكت على الغرق ، وترك ركابها على سطحها وحدهم بلا قيادة ؟!

بدا صوت الدُّب عصبيًا ، وهو يقول :

ـ بل كنا نضمن لهم استمرار القيادة ؛ حتى لا ينفرط عقدهم .

قال (محمود) الصغير فى حدة :

ـ بهذه الوسيلة ؟!..

قبل أن يجيبه الدُّب ، قال (طارق) فى حزم :

ـ إنها وسيلة مشروعة .

هتف (طارق) و(محمود) الصغيران ، فى استنكار واحد :

ـ كيـف ؟!

أجابهما بنفس الحزم :

ـ إنها خطة قديمة ، تعتمد عليها كل الحكومات ، منذ قرون عديدة ، وتعد واحدة من أكثر الخطط الأمنية سرية ، بالنسبة لأى نظام حكم ، وهى تعتمد على وجود مخبأ خفى ، لا يعرف موقعه إلا قلة نادرة ، ممن يثق بهم النظام ثقة مطلقة ، وفور حدوث أية كارثة ، أو أى هجوم مباشر على البلاد ، يختفى الرئيس ، مع الحكومة كلها ، فى ذلك المخبأ ، المجهز بحيث يمكنهم منه

Looloo www.dvd4arab.com

إدارة شئون البلاد ، وقيادة الجيوش ، وضمان استمرار سير كل الأمور ، دون أن يكشف العدو أمرهم ، أو تبلغهم الكارثة(*) .

غمغم (محمود) الصغير فى توتر :

ـ هل يضحّى الذئب بسر كهذا من أجلنا ؟!

قال الدُّب ، مزمجرًا فى خشونة :

ـ من الواضح أنكم شديدو الأهمية ، بالنسبة له .

قال (طارق) الصغير فى شك :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابه الدُّب فى صرامة ، مكررًا العبارة نفسها بأسلوب مختلف :

ـ إلى هذا الحد .

ران عليهم الصمت لحظـات بعدها ، وهم يواصلون سيرهم ، متلمسين الجدار ، وسط ذلك الظلام الدامس المخيف ، قبل أن يقطع (طارق) ذلك الصمت ، وهو يسأل :

ـ من يحاولون القضاء علينا أيها الدُّب ؟!

صمت الدُّب طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب ، فى عصبية ملموسة :

(*) حقيقـة .

ـ من يرون أن وجودكم يمثل خطرًا على وجودهم .

سأله (طارق) فى إصرار :

ـ مثـل مـن ؟!

لاذ الدُّب بالصـمت لفتـرة أطول هذه المرة ، قبل أن يجيب ، وقد تضاعفت عصبيته :

ـ الطامعون إلى الزعامة .

عاد (طارق) يسأل ، فى إصرار أكثر :

ـ من بالتحديد ؟!

اندفع الدُّب يقول فى حدة مباغتة :

ـ أنتم لا تعلمون الكثير مما يحدث هنا ، وإجابة سؤالك هذا يحتاج إلى شرح طويل مسيق .

قال (طارق) ، فى برود صارم :

ـ لدينا كل ما نحتاج من وقت .

توقّف الدُّب فجأة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا ما تتصوّره .

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت لحظة ، ثم أضاف ، فى شىء من الحدة :

ـ لقد أوشكنا على الوصول .

قال (طارق) صارمًا :

ـ وهل ستجيب سؤالى عندئذ ؟!

طال صمت الـدُّب هذه المرة ، أكثر مما ينبغى ، فكرَّر (طارق) فى صرمة أكثر :

ـ هـل ؟!

قال الدُّب فى اقتضاب شديد الخشونة :

ـ اصـمت .

أخفى الظلام تلك الدهشة ، التى ارتسمت على وجوه ثلاثتهم ، قبل أن يضيف الدُّب فى عصبية :

ـ وأنصـت .

حبس الجميع أنفاسهم ، وسط ذلك الظلام الدامس ، وأرهفوا أسماعهم ، وهم ينصتون فى توتر ..

ثم اتسعت عيونهم عن آخرها ..

وخفقت قلوبهم فى عنف ..

فذلك الصوت ، الذى تناهى إلى مسامعهم كان مخيفًا ..

مخيفًا للغاية ..

* * *

لم يتوقَّف جسد الدكتور (راشد) عن الانتفاض لحظة واحدة ، منذ عاد من تلك المنطقة ، حيث المعمل الغامض المحظور ..

فما رآه يحدث هناك ، كان بالنسبة إليه مذهلاً ..

مخيفًا ..

مرعبًا ..

وإلى أقصى حد ..

ولقد حاول أن يتشبَّث بحواف مكتبه ؛ فى محاولة لمنع جسده من الارتجاف ، وهو يسترجع تلك اللحظات الرهيبة ..

لقد شاهد ذلك الجدار يختفى ..

وشاهد ما خلفه ..

انتفض جسده مرة أخرى ، وهو يسترجع المشهد الرهيب ..

و ...

Looloo
www.dvd4arab.com

فجأة ، انتفض جسده انتفاضة أخرى أكثر عنفًا ، عندما مس أحد العلماء كتفه ، ووثب من مكانه ، وهو يطلق صرخة ذعر ، جعلت ذلك العالم يتراجع مذعورًا بدوره ، وهو يهتف فى ارتباك شديد :

ـ معذرة .. لم أقصد أن ...

قاطعه الدكتور (راشد) ، وهو يلوّح بذراعيه ، ويلهث فى عنف :

ـ لا بأس .. لا بأس ..

بذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على أعصابه ، وهو يضيف مشيحًا بوجهه بعيدًا ، محاولاً إخفاء توتره الشديد :

ـ كنت مستغرقًا فى التفكير فحسب .

لهث بضع لحظات أخرى ، لم ينطق خلالها ذلك العالم بحرف واحد ، قبل أن يعتدل ، ويقول :

ـ ماذا كنت تريد ؟!

أشار ذلك العالم بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ الأجهزة ترصد شيئًا عجيبًا .

خفق قلب الدكتور (راشد) ، وهو يسأله بأنفاس مبهورة :

ـ مصدر للطاقة .

هزّ العالم رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل اهتزازات .

انعقد حاجبا الدكتور (راشد) ، وهو يردّد :

ـ اهتزازات ؟!

قال العالم فى سرعة :

ـ اهتزازات لا تتفق مع أى شىء رصدناه من قبل .. إنها ليست إرهاصات زلازل ، ولا حتى تحركات تحت أرضية ، أو حتى فوق أرضية ، وشاشات الرصد كلها لا ترصد شيئًا يقترب أو يبتعد ، وأجهزة الفحص الحرارى تشير كلها إلى السلب واتجاه التردُّدات نفسه غير مألوف .

سأله متوترًا :

ـ ماذا تعنى ؟!

راح الرجل يشير بيديه ، وهو يجيب :

ـ إنها لا تسير فى اتجاه أفقى ، بل على نحو رأسى تمامًا ، ومن أسفل إلى أعلى ، كما لو أن شيئًا ما يخترق الأرض ، فى طريقه إلى هنا .

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

ـ إنه أمر بالغ الخطورة .. هل حدَّدتم موقعه بالضبط ؟!

اتجه الرجل إلى خريطة رقمية للحصن ، على شاشة كبيرة ، وأشار إلى نقطة منها ، قائلاً :

ـ هنـا .

حدَّق الدكتور (راشد) فى تلك النقطة لحظة ، ثم هزَّ رأسه فى قوة وتوتر ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

سأله الرجل فى دهشة :

ـ ولماذا مستحيل !

أجابه فى عصبية شديدة :

ـ لأنه مستحيل أن يمكننا التقاط أو رصد أى شىء ، عند هذه النقطة بالذات !

تضاعفت دهشة العالم ، وهو يسأله :

ـ ولماذا هذه النقطة بالذات ؟!

جاء دور الدكتور (راشد) ؛ ليلوِّح بيده ، هاتفًا فى انفعال :

ـ لأنه مغطـاة كلهـا بألواح هائلة ، من الأسمنت المدعوم بالرصاص ، ويستحيل التقاط أى شىء منها ؛ لأنه لا شىء يمكنه عَبورها أبدًا .

وبدا شديد العصبية ، وهو يضيف :

ـ لا شىء على الإطلاق .

امتقع وجه العالم ، وهو يغمغم :

ـ ولكننا نلتقط شيئًا بالفعل .

انتفض جسد الدكتور (راشد) ، للمرة المائة ، فى هذا النهار ، وهو يقول بمنتهى العصبية :

ـ دعنى أرى ما تلتقطون .

كانت الشمس تميـل إلى الغروب ، عندما وقف أمام الشاشة العملاقة ، ورأى ما يرصدون ..

وفى هذه المرة ، كانت ارتجافته أقوى ..

وأشدّ ..

وأعنف ..

ومن أعمق أعماقه ، تصـاعد شديد ، على كل ما درسه فى حياته ، ومن علوم وقواعد فيزيائية ..

Looloo
www.dvd4arab.com

فمرة أخرى ، وقبل أن تغرب شمس يوم واحد ، كان ما يراه أمامه ، وبكل المقاييس ، أمر مذهل ..

ويلا حدود ..

بالفعل ..

* * *

لحظات رهيبة من الصمت ، سيطرت على الجميع ، بعد أن أدلى (هاشم) باعترافه المخيف هذا ..

لحظات تطلَّع إليـه (نـور) خلالها ، فى هدوء يضاعف من غرابة الموقف ، وحدَّق فيها الباقون فيه مستنكرين ، فى حين شدَّ هو قامته ، على نحو أشبه بالتحدّى ، وهو يسأله :

ـ كيف عرفت ؟!

هزَّ (نور) كتفيه فى بساطة ، وأجاب :

ـ لقد ذكرت اسم ذلك الحاجز (كوباء) ، فى بساطة توحى باعتيادك ترديد الاسم ، ولكن (مشيرة) زوجة (أكرم) ، وهى إعلامية قديمة ، لم تذكر اسمه ، وبالنسبة لإعلامى قدير ، تتميَّز شخصيته بالفضول ، وتفرض عليه مهنته السعى خلف المعرفة ، إلى حد أنها جازفت بعبور الأطلال ، ولمس ذلك الحاجز ، فقط

لتعرف طبيعته ، وكان من العجيب ألا تذكر اسمه ، وهى تروى القصة ، وكأنها لا تعرفه .

ثم مال نحو (هاشم) ، متسائلاً :

ـ فكيف تألفه أنت يا (هاشم) ؟!

صمت (هاشم) لحظة ، ثم أجاب فى برود :

ـ لأنه كان يتردَّد كثيرًا هناك .

واكتسب صوته صرامة عجيبة ، وهو يردف :

ـ فى الحصن .

قالها ، وأدار عينيه فى وجوه الجميع ، فى تحد عجيب ، جعل (أكرم) يغمغم فى غضب ، يمتزج بشىء من الإحباط :

ـ يا للوقاحة !

تابع (هاشم) متجاهلاً قوله :

ـ كانت هناك دوريات منتظمة لحراسته ، حتى أيقن طاقم العلماء من استحالة اختراقه ، بعد تجارب طويلة ، فلم يعودوا يبالون به .

قالت (سلوى) فى حزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ربما كان أكبر خطأ ارتكبوه ، فى عمرهم كله .

ألقى عليها (هاشم) نظرة مستهترة ساخرة ، ثم عاد يلتفت إلى (نور) ، الذى سأله بنفس الهدوء :

ــ لماذا فررت من الحصن يا (هاشم) ؟!

أجابه (هاشم) فى سرعة ، وبانفعال عجيب :

ــ لأنهم أوغـاد .

تمالك نفسه فى سرعة ، وعاد يتخذ تلك الوقفة الصارمة المتحدية ، فسألته (نشوى) فى اهتمام :

ــ هل كانوا يسيئون معاملتك ؟!

مضت لحظة ثقيلة من السكون ، قبل أن يهزّ رأسه فى بطء ، قائلاً :

ــ بل على العكس .. إنهم يمنحوننا كل نطلبه .

بدا الاهتمام الشديد على وجه (أكرم) ، فى حين راح (رمزى) يدرس انفعالات (هاشم) فى صـمت ، شاركته فيه (سلوى) و(نشوى) ، فى حين قال (نور) ، بنفس ذلك الهدوء ، الذى لم يفهموا سببه :

ــ ولكـن ؟!..

بدا من الواضح أن (هاشم) يكتم غضبًا شديدًا فى أعماقه ، وهو يضغط أسنانه لحظات ، قبل أن يجيب :

ــ لقد سبق وأن أخبرتكم .

ثم أضاف فى مقت واضح :

ــ إنهم أوغاد .

هزَّ (نور) كتفيه بنفس الهدوء ، قائلاً :

ــ لم أفهم .

صمت (هاشم) لحظات ، وانفعالاته تتعالى تدريجيًّا ، قبل أن ينفجر فجأة ، قائلاً :

ــ اسمع يا هذا .. ربما يطلقون عليك فى هذا الزمن لقب الأسطورة ، ولكن هناك الكثير مما تجهله ، فى هذا الزمن .

لم يفقد (نور) هدوءه الشديد ، وهو يقول :

ــ مثل تلك الأمور العجيبة ، والمثيرة للحيرة والشك ، والتى تحيط دومًا بالقائد الأعلى .

اتسعت عينا (هاشم) لحظة ، ثم عاد يتمالك نفسه فى سرعة ، ويغمغم فى عصبية :

ــ الأمور تفوق هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

مضت لحظات من الصمت والسكون ، و(نور) يتطلّع إليه مباشرة ، ثم التفت لحظة إلى (رمزى) ، الذى أومأ برأسه إيجابًا ، فالتفت (نور) إلى (هاشم) ، وقال فى بهجة هادئة ، تحمل الكثير من الود :

ـ ولهذا نعتمد عليك يا (هاشم) .

رفع (هاشم) عينيه إليه فى دهشة كبيرة ، شاركه فيها (أكرم) و(نشوى) و(سلوى) ، فى حين ابتسم (رمزى) ، قبل أن يهتف (هاشم) :

ـ تعتمدون علىّ أنا ؟!

وضع (نور) يده على كتفه ، قائلاً :

ـ إننا نثق فيك .

لم يفهم (أكرم) لماذا قال (نور) هذا ، ولكنه أضاف فى سرعة وحماس :

ـ بالتأكيد .

أدار (هاشم) عينيه إليـه ، فى تأثُّر شديد ، واختلجت شفتاه لحظات ، قبل أن يشدّ قامته ، ويقول فى حزم :

ـ أنا رهن إشارتكم .. سأخبركم بكل ما تريدون معرفته .

التقط (نور) نفسًا عميقًا فى ارتياح ، وقال :

ـ هذا ما ننتظره منك .

كان الصمت هذه المرة يختلف ..

كان صمت فريق ، يثق فى قائده ، وحسن تقديره للأمور ، ولكنه يحمل فى أعماقه ظنًّا هائلاً من التساؤلات ..

وفى هدوء ، تحدث (رمزى) ، قائلاً :

ـ هل نبدأ تحرُّكنا ؟!.. الشمس توشك على المغيب ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ سنبدأ فورًا ؛ فعلينا أن نبتعد عن هنا بقدر الإمكان .

حمل الرجال الآلات ، وعاودوا السير ، فى اتجاه الغروب ، حيث ذلك الحاجز المخملى العجيب ، واقتربت (سلوى) من (نور) ، هامسة :

ـ (نور) .. هل تثق به حقًّا ؟!

أجابها ، دون لمحة واحدة من التردُّد :

ـ نعـم .

هزّت رأسها ، قائلة فى قلق :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ليتنى أشاركك ثقتك هذه ..

قال فى حزم :

ــ سترين .

أومأت براسها ، دون معنى محدد ، ثم قالت :

ــ المهم أن نحصل منه على كل ما يعرفه ، عن ذلك الحاجز (كوباء) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ــ إنه لا يعرف عنه شيئًا .

التفتت إليه فى دهشة عارمة ، هاتفة فى خفوت :

ــ فيم سيفيدنا إذن ؟!

لاذ بالصمت بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حزم شديد :

ــ سيفيدنا .. كما سترين .

« لا أستطيع فهم هذا .. »

قالتها (نشوى) فى خفوت متوتر ، وهى تسير إلى جوار زوجها (رمزى) ، الذى سألها فى حذر :

ــ وما الذى لا تستطيعين فهمه بالضبط ؟!..

أجابته ، من وسط توترها :

ــ كيف يثق العلماء تمامًا ، فى أن ذلك الحاجز يستحيل اختراقه ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ــ ربما لأن التكنولوجيا والمعرفــة لا يتوافران ، بالنسبة لسكان الأطلال .

قالت فى قوة :

ــ كلاَّ .. العلماء كرجال الأمن ، لا يمكنهم أن يهملوا أدنى احتمال .. كانوا سيواصلون دوريات الحراسة على الأقل .

استغرق لحظات فى التفكير ، قبل أن يقول :

ــ المفترض أنك أنت الخبيرة فى هذا المضمار ، فما الذى يدور فى عقلك ؟!..

بدت شديدة الانفعال والحماس ، وهى تجيب :

ــ التكنولوجيا .

ابتسم ابتسامة حذرة ، قائلاً :

ــ وهذا ما اقترحه .

Looloo
www.dvd4arab.com

هزّت رأسها نفيًا فى انفعال ، وقالت :

ـ كنت أعنى التكنولوجيا ، التى تم صنع ذلك الحاجز بوساطتها .. العلماء يثقون فى أن تلك التكنولوجيا تفوق أية معارف أرضية .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لا تتركى العنان لخيالك ، إلى هذا الحد .

قالت فى حماس :

ـ احسبها أنت .. المفترض أن ذلك الحاجز ، الذى يطلقون عليه اسم (كوباء) ، يفصل بين منطقة الأطلال ، وباقى المناطق الأخرى ، وهو مقام إما لمنع سكان الأطلال من الخروج منها ، أو منع غيرهم من الدخول إليها ، وفى الحالتين ، هناك ألف احتمال واحتمال ؛ لأن يسعى بعضهم لعبوره ، كما هو الحال مع (هاشم) ، فلا يمكن والحال هكذا أن يتركوه بلا حراسة دورية ، إلا لو كانوا واثقين ، مائة فى المائة ، من أن أحدًا لا يمكنه كشف تكنولوجية وجوده أبدًا .

قال مفكرًا :

ـ (سلوى) وأنت أكدتما ، أن العالم خارج الأطلال يواصل تطوّره المعتاد .

أشارت بسبّابتها ، هاتفة :

ـ وهذا ما يؤكد صحة نظريتى ، فهم حتمًا واثقون ، من أنه مهما تطوّر العالم خارج الأطلال ، لن يمكنه عبور ذلك الحاجز قط .

قال ، وقد بدأ التوتر يسرى فى كيانه :

ـ حتى التكنولوجيا لها حدود .

ارتجف صوتها ، على الرغم من انفعالها ، وهى تقول :

ـ إلا لو كانت تكنولوجيا غير أرضية .

وعلى الرغم منه ، شارك جسده صوتها ..

وارتجف ..

« ولماذا حدث هذا ؟!.. »

قالها (هاشم) فى اهتمام ، وهو يسير إلى جوار (أكرم) ، الذى أجابه فى حسم :

ـ (نور) يثق بك .

سأله مرة أخرى :

ـ لم أسألك عن ثقة المقدّم (نور) .. سألتك لماذا حدث أن شاركته هذه الثقة ؟

صمت (أكرم) لحظة ، وكأنه يبحث عن جواب مناسب ، ثم قال :

www.dvd4arab.com

ــ إننى أثق فى (نور) ، فى حسن تقديره للأمور ، وتقييمه للأشخاص ، وما دام يثق بك ، فأنا أثق فى حكمه .

لم يرق الجواب للرجل ، فقال ، فى لهجة أشبه بالتحدّى :

ــ وماذا لو كنت أخدعكم ؟!

أجابه (أكرم) ، فى سرعة وحزم :

ــ مســتحيل !

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

ــ لو أنك قرأت الكثير عنا كما تدّعى ، فستفهم ما حدث بالضبط .

قال (هاشم) فى برود :

ــ أتعنى إشارة الدكتور (رمزى) للقائد (نور) ؟!

أجابه (أكرم) :

ــ بالضبط .. لقد شعر (نور) بالثقة فى كلماتك ، دون أن ينطق بحرف واحد ، طلب مشورة (رمزى) ، أعظم خبير ومحلّل نفسى عرفه التاريخ ، وعندما أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، كان يعطى إشارة إلى القائد ، أنه يثق فى أنك لست مخادعًا ، وأنا أثق فى تقييم (رمزى) ، أكثر من ثقتى فى مشاعرى نفسها .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (هاشم) فى خفوت ، حمل الكثير من التأثُّر :

ــ إنكم تستحقون حقًّا ما وصفكم به التاريخ .

ابتسم (أكرم) ابتسامة عصبية ، وهو يقول :

ــ ألن تكف عن الحديث عن التاريخ ؟!

هزَّ (هاشم) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ مستحيل !.. التاريخ هو الدروس التى نتعلمها ، حتى لا ترتكب الأخطاء نفسها فى المستقبل .

أطلق (أكرم) ضحكة متوترة قصيرة ، قبل أن يقول :

ــ هذا بالضبط ما يردّده (نور) دومًا .

تقمَّص أسلوب (نور) ولهجته ، وهو يبتسم ، مردفًا :

ــ المستقبل يكمن هناك .. فى أعماق التاريخ .

التفت إلى (هاشم) ، منتظرًا تعليقًا منه ، إلا أن هذا الأخير توقَّف فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وتلَّفت حوله فى توتر ، جعل (أكرم) يسأله فى خفوت ، وقد انتقل إليه توتره :

ــ ماذا هناك ؟!

www.dvd4arab.com

بدا صوت (هاشم) صارمًا شديد التوتر ، هو يقول :

ــ إنها تتابعنا .

سأله (أكرم) بأنفاس مبهورة ، وهو يتلفَّت حوله على نحو غريزى :

ــ ما هى هذه ؟!

أجابه (هاشم) فى توتر :

ــ العيــن .

ثم رفع نظره وسبَّابته إلى أعلى ، وارتجف صوته باتفعال عنيف ، وهو يضيف :

ــ عين الظلام .

وعلى الرغم منه ، اتسعت عينا (أكرم) ..

وانتفض جسده ..

بمنتهى العنف .

* * *

6 - وجهـًا لوجه ..

ذلك الشىء ، كان يتبعهم فى خفة ، عبر ذلك الظلام الدامس ..

لم تكن له خطوات بشرية ، وإنما خطوات رباعية ، توحى بأنه حيوان ، يسير على أربع ..

وفى ذلك الزمن ، ووسط تلك الأطلال ، لم يكن هذا أمرًا مألوفًا ..

بل لقد فجَّر فى أعماقهم جميعًا سؤالاً مهمًّا ، لم ينتبهوا إليه من قبل ..

فذلك العالم الجديد ، لم يكن يحوى أية حيوانات ..

فقط حشرات ، بعضها لم تألفه الأرض من قبل ، وكائنات آلية صناعية ، أضيفت إليه من مصدر ما ..

مصدر لا يعلمه أحد ..

من سكان الأطلال على الأقل ..

ولكن ذلك الشىء الذى يتبعهم ، كان حتمًا من الفضيلة الحيوانية ، أيًّا كانت ماهيته ..

ولقد حبس الجميع أنفاسهم ، وهم يتابعون خطواته تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يكن من الممكن الجزم بما إذا كان حيوانًا مفترسًا ، أم أحد الحيوانات البرية ، التى تختفى فى الكهوف المظلمة ..

ولأنه لم يكن هناك سبيل للفرار ، فقد التصقوا بالجدار ، وسحب الدُّب خنجره ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله فى قوة ، على الرغم من ضخامته ، وندت منه شهقة عنيفة ، وهو يغمغم فى خشونة عصبية :

ــ رباه !.. إنه .. إنه ..

سأله (طارق) الصغير بأنفاس متلاحقة :

ــ إنه ماذا ؟!

لهثت أنفاس الدُّب ، وهو يجيب :

ــ إنه يلعق ساقى ..

اتسعت عيونهم ، و(طارق) يسحب مسدسه فى توتر ، قائلاً :

ــ يلعقها ؟!.. أهو ...

قاطعه الدُّب ، فى خفوت عجيب ، حمل فيضًا من المشاعر :

ــ إنه كلب .

قفزت دهشتهم إلى ذروتها ، و(محمود) الصغير يهتف :

ــ كلب ؟!.. هنا ؟!

حمل صوت الدُّب الكثير من التأثُّر ، وهو يغمغم :

ــ كنت أملك جروًا صغيرًا فى طفولتى .

قالها ، وانحنى فى بطء ، مستترًا بالظلام الدامس ، وربَّت على ظهر الكلب ، الذى أطلق أصواتًا خافتة ، توحى بالألفة والسعادة ، مما جعله يحمله فى رفــق ، لا يتناسب مع ضخامته وطبيعته ، وهو يقول بلهجة بالغة التأثُّر ، كما لو أنه يبكى :

ــ لست أدرى حتى كيف نسيت هذا !

ران الصمت على الجميع بضع لحظات ، قبل أن يقول (طارق) فى حزم ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

ــ كم تبقى لنا ، حتى نصل إلى ذلك المخبأ الآمن ؟!

انتزع الدُّب نفسه من تأثره ، وقال وهو يمسح دمعة تأثُّر ، أفلتت من عينيه :

ــ القليل .

وكان على حق تمامًا فى عبــارته ، فلم تمض دقائق أربع ، حتى كان يدفع بابًا خفيًا فى أرضية المخبأ ، فتسلَّل إليهم شعاع من الضوء ، بعــد أن أعيا الظلام عيونهم طويلاً ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ودون تبادل كلمة واحـدة ، جلسوا فى ذلك المكان الضيق ، جيِّد التأثيث ، والذى يحوى شاشة رصد كبيرة ، وجهاز كمبيوتر شخصى صغير ، ومنضدة من خشب قديم ، التفوا حولها ، وهم يتطلعون إلى ذلك الكلب أصفر اللون ، والذى استقر مطمئنًا بين ذراعى الدُّب ، الذى راح يسقيه من وعاء صغير ، فى حنان جعلهم يعيدون نظرتهم إليه ، والكلب يلعق الماء فى نهم ، ثم يلتفت ليعلق يد الدُّب ، بين الحين والآخر ، فى امتنان عجيب ، حتى قطع الدُّب نفسه ذلك الصمت ، وهو يقول فى تأثُّر :

ـ إنه يشبه جروى القديم .

قال (محمود) الصغير فى حزم :

ـ هذا أمر طريف ، ولكن لست أظننا سنترك كل شىء ، ونهتم بذكرياتك مع جروك القديم هذا .

انعقد حاجبا الدُّب فى غضب ، وانحنى يضع الكلب أرضًا ، ويضع أمامه إناء الماء ، ثم تحرَّك ليلتقط بعض الغذاء الجاف ، الذى يتم الاحتفاظ به فى المخبأ ، ويضعه أمام الكلب ، وربَّت عليه فى حنان ، ثم اعتدل يقول فى صرامة :

ـ ستقضون هنا بعض الوقت ، حتى يمكننى حسم الأمور ، والقضاء على المعارضين .

قال (طارق) فى سرعة وصرامة :

ـ كـلاَّ ..

تراجع الدُّب فى دهشة ، فتابع (طارق) بنفس الصرامة :

ـ لو أنه هنـاك خطر يتهدَّدنا ، أو يتهدَّد هـذا العالم ، فلن نختبئ هنا ، ونقف ساكنين ، بينما تعمل أنت وذئبك لإنقاذنا .

بدا الدُّب شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ الأمر أخطر مما تظنون .

نهض (محمود) الصغير فى حزم ، وهو يقول :

ـ ونحن زعيمان ، ولن نختبئ هنا .

قال الدُّب ، وتوتره يتزايد :

ـ هـذا هو الغرض ، مـن وجـود المخبأ السرى .. حماية الزعماء .

بدت عبارته منطقية للغاية ، ولكن (طارق) نهض ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا لن ينطبق علىَّ إذن ، فلست زعيمًا مثلهما .

قال الدُّب ، وقد تحوَّل توتره إلى عصبية :

ـ ولكنك ستبقى معهما .

Looloo
www.dvd4arab.com

كان (طارق) يهم بالاعتراض ، ولكن الدُب استدرك فى سرعة :

ــ حتى مطلع الشمس فحسب .

سأله (طارق) فى توتر ، شاركه إياه خاله وشقيقه :

ــ ولماذا ؟!

التزم الدُب بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ــ سأخبرك .

وعاد يتخذ مجلسه ..

وأخبرهم ..

وكان ما أخبرهم به مفاجئًا ومدهشًا ..

وإلى حـد كبير ..

* * *

على الرغم من كل معـارفه وعلومه ، لم يستطع الدكتور (راشد) أبدًا فهم هذا الذى ترصده الأجهزة ، من البقعة التى تم دفن جسد (محمود) الزوريومى فى أعماقها ..

لقد تم دفن ذلـك الجسد ، الـذى يجمع بين الخلايا الحيوية لـ (محمود) ، ومادة (الزوريوم) الحيوى ، الذى ما زال وطاقمه يجهلون الكثير عنها ، ويكشفون مفاجآت عديدة لها ، فى كل يوم ..

ولقد وضعوا جسد (محمود) داخل تابوت سميك من الرصاص ، يستحيل ، وفقًا لكل القواعد الفيزيائية المعروفة ، أن تخترقه أية طاقة ، مهما بلغت قوتها ، ولم يكتف القائد الأعلى بهذا ، وإنما غطى منطقة الدفن كلها بألواح سميكة ، من الأسمنت الرصاصى ، التى تصنع حواجز إضافية للطاقة ..

وعلى الرغم من كل هذا ، فما زالت الأجهزة تلتقط تلك الاهتزازات ، التى تأتى من البقعة نفسها بقوة ، وتتصاعد طوال الوقت ، من أسفل إلى أعلى ، كما لو أنها لشىء يهم باختراق الأرض ، وبلوغ الحصن ..

فماذا يمكن أن يكون هذا ؟!..

مـــاذا ؟!..

كان التوتر يغمر كل ذرة من كيانه ، من كثرة ما مرَّ به فى يوم واحد ، من أمور تتجـاوز كل علم درســه ، وكل نظرية علمية آمن بها ، حتى أنه لم يعد يحتمل ، ويوشك على الانفجار ..

ثم أن ما عرفه ، عندما دفعه الفضول إلى المعمل الغامض ، كان يفوق قدرته على حفظه كالسر الدفين فى أعماقه ..

كان ولابد له من أن يفصح عنه لمخلوق ما ..

أى مخلـوق ..

Loolo
www.dvd4arab.com

بل إن واجبه قد يحتّم عليه أن يفصح عنه لجموع العلماء ..

أو حتى لكل من داخل الحصن ..

إنه أمر قد يعنى مستقبلهم جميعًا ..

قد يعنى وجودهم ..

أو فناءهم ..

لذا ، لابد وأن يخبرهم ..

لابـد ..

امتدّت يده ، لتضغط زر الاتصال العام ، وقد حسم الأمور فى أعماقه ، ولكن قبل أن تمس سبّابته زر الاتصال ، اشتعلت الشاشة الهولوجرافية فجأة ، وارتسم وجه القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ دكتور (راشد) .. أريدك فى مكتبى .

انتفض جسـد الرجـل فى عنف ، وتراجع مبتعدًا عن شاشة الاتصال الهولوجرافية بحركة حـادة ، كمـا لو أن ظهور وجه القائد الأعلى قـد أصابه بصعقة كهربية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى إن القائد الأعلى قال فى صرامة :

ـ هل أفزعتك رؤيتى ؟!

أجابه الدكتـور (راشد) ، بعـد لحظات ، بذل خلالها جهدًا خرافيًا ؛ للسيطر على انفعاله :

ـ كلاَّ .. لقد فاجأتنى فحسب .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم قال فى صرامة أكثر :

ـ أريدك الآن .

أنهى الاتصال بحركة أخرى مباغتة ، جعلت جسد الدكتور (راشد) ينتفض مرة أخرى ، قبل أن يلهث فى توتر ، وقد راح قلبه يخفق ، كما لم يخفق من قبل قط ..

ها هو ذا ما كان يخشاه بشدة ، منذ رأى ما رآه ، عند ذلك المعمل الغامض ..

أن يلتقى به ..

أن يقف أمامه وجهًا لوجه ..

راح يلهث بضع لحظات ، عاجزًا عن التغلُّب على ذلك الفيض الرهيب من المشاعر والانفعالات ، الذى تفجَّر فى أعماقه ، وقال محدثًا نفسه ، وكأنما يحاول تهدئتها :

ـ إنه لا يعلم أننى رأيت ما رأيت ، فلماذا أخشاه ؟!.. لابد وأن أواجهه فى ثقة .. إنه لن يفعل شيئًا ، ما دام لا يعلم شيئًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

نهض فى توتر ، وعدّل من هندامه ، والتقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة أعصابه ، قبل أن يحسم أمره ، ويتجه إلى هناك ..

إلى حجرة القائد الأعلى ..

مباشرة ..

ولم يمضِ وقت طويل ، حتى كان يقف أمامه ..

وعلى الرغم من كل ما حول إقناع نفسه ، طوال الطريق إليه ، لم يستطع الدكتور (راشد) منع جسده من الارتجاف ، وهو يقـف أمام القائد الأعلى ، الذى تأمله فى إمعان بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ التقرير الذى وصلنى ، من المعمل المركزى ، يقول : إنكم ترصدون اهتزازات رأسية ، تنبع من نفس المنطقة ، التى دفنتم فيها ذلك التابوت ، الذى يحوى الجسد الزوريومى .

تمتم الدكتور (راشد) :

ــ هذا صحيح .

لم يستطع مع الارتجافة ، التى خرجت مع كلماته ، وأعلنت توتره ، فتطلّع إليه القائد الأعلى لحظات أخرى ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، متسائلاً :

ــ وهل توصّلتم إلى ماهيتها ؟!

هزّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا توجد وسيلة لهذا ، إلا إذا ..

بتر عبارته ، دون أن يكملها ، فتساءل القائد الأعلى فى صرامة أكثر :

ــ إلا إذا ماذا ؟!

تردّد الدكتور (راشد) لحظات ، ثم قال :

ــ إلا إذا أخرجنا هذا التابوت ، و ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يقول فى حدة :

ــ هكذا ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه بحركة حادة ، جعلت الدكتور (راشد) يتراجع على نحو عنيف ، وانتفض قلبه بين ضلوعه ، والقائد الأعلى يدور حوله ، ويرمقه بنظرات قاسية صارمة ، مستطردًا :

ــ هذه هى الوسيلة إذن .. إثارة حيرتنا وتوترنا ، ودفعنا إلى إخراج ذلك التابوت ، و ...

« لقد شاهدتك هناك ... » ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يدر الدكتور (راشد) أبدًا ، لماذا تجاوزت تلك العبارة حلقه ، ولكنه لم يكد ينطقها ، حتى جفَّت الدماء فى عروقه ، ولعن تهوّره ألف مرة ، وتصوّر أن القائد الأعلى سيهاجمه فى عنف ، مما جعل جسده كله يتحفَّز ، ولكن القائد الأعلى دار ، حتى وقف أمامه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أعلم هذا .

ثم أشار بيده فى الهواء ، فتألقت شاشته الهولوجرامية الكبيرة ، فى منتصف الحجرة ..

وتراجع الدكتور (راشد) كالمصعوق ..

فعلى الشاشة ، وفى فراغ الحجرة ، ظهرت صورته ، وهو يراقب القائد الأعلى خفية ..

وفى اللحظة نفسها ، مال القائد الأعلى نحوه ، وبدت عيناه كجمرتين من اللهب ، وهو يقول :

ــ الآن عرفت .. ماذا تتوقَّع بعدها إذن ؟!

ولم ينتفض جسد الدكتور (راشد) هذه المرة ..

لم ينتفض ، وإنما تجمَّد كله فى رعب هائل ..

رعب بلا حدود ..

وبلا أمل فى النجاة ..

بلا أدنى أمل ..

* * *

اختفت الشمس بالفعل ، خلف الأطلال البعيدة ، واصطبغ الأفق بألوان الغروب البديعة ، التى تناقضت بشدة مع ما تحمله الأطلال من كآبة ، والتف أفراد الفريق كلهم حول (هاشم) ، يرفعون أعينهم إلى السماء ، و(سلوى) تتساءل فى قلق :

ــ أى عين تلك التى تتحدَّث عنها يا سيد (هاشم) ؟!.. لست أرى شيئًا فى السماء .

قال فى توتر :

ــ لا يمكنك رؤيتها فى المعتاد ؛ فهى تتخذ نفس هيئة السماء ، بحيث يصعب تحديدها وسطها بالعين المجرَّدة ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

ــ كيف لمحتها أنت إذن ؟!

أشار (هاشم) بسبَّابته ، مجيبًا :

ــ لقد مرَّت لجزء من الثانية ، أمام واحدة من السحب .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ثم أننى أعرف بوجودها ، من أيام عملى بالحصن .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ كنت ضمن فريق علماء الحصن .. أليس كذلك ؟!

أجابه (هاشم) ، دون أن يلتفت إليه :

ــ لن أسألك حتى كيف عرفت ، ولكن الجواب هو نعم .. كنت ضمن فريق علمـــاء الحصن ، وأعرف الكثير عنه ... وعن تلك العين اللعينة .

سألته (نشوى) فى اهتمام :

ــ إنها عين راصدة .. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال وهو يخفض صوته ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد :

ــ بلى .. هى أكثر نشاطًا فى الليل ، منها فى النهار ؛ فهى ترصد الانبعاث الحرارى من الأجسام ، وتتابعها ، وتنقل إلينا مسارها طوال الوقت ، وربما تتولَّى أمورها أيضًا ، إذا ما استلزم الأمر هذا .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) :

ــ إذن ، فهى هجومية أيضًا .

كررَّ (هاشم) متوترًا :

ــ إذا ما استلزم الأمر .

بدت علامات تفكير عميق على وجه (نور) ، وتوقَّف ليجلس على صخرة قريبة ، من بقايا الأطلال ، ولاذ بالصمت التام ، واحترم الجميع صمته ، ووقفوا يتطلَّعون إليه ، فمال (هاشم) على أذن (أكرم) ، يسأله :

ــ ماذا يفعل القائد ؟!

أجابه (أكرم) فى اقتضاب حازم :

ــ يفكِّر .

قال (هاشم) ، فى دهشة مستنكرة :

ــ فى مثل هذه الظروف .

قال (أكرم) فى صرامة :

ــ تفكيره هو وسيلتنا ، للتغلُّب على تلك الظروف .

ثم التفت إليه ، مستطردًا ومؤنبًا :

ــ أم أنك لم تقرأ من التاريخ ،سوى سيرتى فقط .

لم يحاول (هاشم) حتى إجابته ، وهو يتطلَّع إلى (نور) فى اهتمام وانتباه ، حتى اعتدل (نور) فجأة ، وسأل (سنوى) و(نشوى) :

ibooks

ـ ماذا وجدتما ، داخل تلك الدودة العملاقة ؟!

كانت (نشوى) أسرع من أجاب ، وهى تقول :

ـ آلات توجيه ، ورصد حرارى ، ومجسّات صوتية و ...

قاطعها فى حزم :

ـ ألا توجد بينها أجهزة ، يمكن أن تصدر إشارات عالية التردُّد .

أدركت (سلوى) ما يعنيه على الفور ، فأجابته فى سرعة وحماس :

ـ ليس على نحو مباشر ، ولكننى أستطيع تعديل بعضها ، وإضافة جهاز إلى ثان أو ثالث ، وخلال ساعتين على الأكثر ، أستطيع منحك ما تريد .

أدار عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يقول :

ـ وخلال الساعتين ، ستعمل على منع تلك العين الخفية ، من رصد ما نفعله هنا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ وكيف هذا ؟!

أشار بيده إلى حيث يقف (أكرم) و(هشام) ، مجيبًا :

ـ هما لديهما خبرة بالعيش وسط الأطلال ، وسيجدان وسيلة .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وشعر أن المسئولية قد ألقيت على عاتقه ، فقال متوترًا :

ـ إنها أكثر نشاطًا فى الليل ، منها فى النهار .

التفت إليه (هاشم) ، قائلاً :

ـ وترصد الانبعاثات الحرارية .

التقت نظراته بنظرات (أكرم) ، الذى أضاف فى حزم :

ـ والمثل القديم يقول : « لا يقل الحديد .. سوى الحديد .. » ، وهذا يعنى أن مقاومة كاشف الحرارة تكون بـ ...

اندفع (هاشم) ليحسم الأمر ، صارخًا فى حماس :

ـ النار .

قالها ، وكلهم يعلمون أنهم لا يستطيعون رؤية عين الظلام ، ولكنها بالتأكيد ترصد كل ما يفعلونه ..

وربما كل ما قالوه ..

كل حرف منه ..

وبمنتهى الدقة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

لم تتوقَّف دموع (مشيرة) لحظة واحدة ، وهى تجلس على أرضية تلك الحجرة الخفية ، التى سجنها فيها الذئب ، داخل وكره السرى ، وتضمّ ركبتها إلى صدرها ، مسندة ذقنها إليهما ، ومتطلعة فى مرارة إلى ذلك القفص ، الذى ترقد داخله تلك الهرة المسكينة ..

لقد أثبت لها الذئب ، بتجربة عملية ، أن لديه العقار ، الذى حلم به المغامرون ، منذ عشرات القرون ..

قطرة واحدة من ذلك العقار ، أعادت الهرة سبع سنوات إلى الوراء على الأقل وبقفزة واحدة ..

كانت هرة عجوز ، متهالكة ، لعقت قطرة من العقار المدهش ، فعادت هرة صغيرة ، مفعمة بالحيوية والنشاط ..

وهى لا تنسى كيف التمعت عيناه لحظتها ، وكيف واجهها ، قائلاً :

ـ الهرة عادت صغيرة .. شابة .. عادت أكثر جمالاً ، وحيوية ونضـارة .. ألا تحلمين بالمـرور بالتجربة نفسها ، يا سيِّدة (مشيرة) ؟.. ألا تحلمين بالعودة إلى نضارة وحيوية الشباب ، بين ذراعى زوجك المحب ؟!.. ألا يساوى هذا الحلم الكثير ؟!

لم تستطع لحظتها إجابته مباشرة ، من فرط انفعالها ، فحدَّقت فى عينيه بضع لحظات ، قبل أن تجيب فى صوت مبحوح مرتجف :

ـ من المؤكد أن الثمن سيكون باهظًا .

ابتعد عنها لحظتها ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ كل شىء فى الحياة له ثمن ، وعلينا أن ندفع الثمن نستحق أن نحيا .

ارتجف صوتها ، وهى تجيبه :

ـ أحيانًا ما يكون الموت أكثر قيمة من الحياة .

فوجئت به لحظتها يلوِّح بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ هراء .. عبث .. خداع للنفس .. كلمات جوفاء ، يرددّها أولئك الذين لا يجدون سبيلاً للحياة ، ويتصوَّرون أن سبيلهم الوحيد للتميُّز هو الموت .

ابتعد عنها أكثر ، قبل أن يهتف ، مكملاً فى عصبية :

ـ إنهم حمقى ، يشترون الموت ، ويسعون خلفه فى إصرار ، ويخسرون الحياة بجمالها ، ومتعتها ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ـ وجبروت وسطوة من فيها .

صمت بغتة ، وهو يوليها ظهره ، ولم تشهد انفعالاته طويلاً ، قبل أن يقول فى صرامة شديدة ، دون أن يلتفت إليها :

ـ فليكن .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم استدار إليها فى حركة حادة ، جعلتها تنتفض على الرغم منها ، مع تلك النظرة المخيفة ، التى أطلّت من عينيه ، وهو يقول :

ـ حديثك الآن حديث انفعـال ، يفتقـر إلى العقـل والمنطق يا امرأة .. لذا ، فسأمنحك فرصة للتفكير والتدبير ، واتخاذ القرار .. وسأحتفظ بك حتى ذلك الحين هنا .

غمغمت بأنفاس متلاحقة :

ـ هنـا ؟!..

أكمل بنفس اللهجـة والنظرة المخيفتين ، وهـو يرفع قفص الهرة عاليًا :

ـ وستبقى هذه معك ، حتى ترينهـا أمامك طوال الوقت ، وتعيدين النظرة فى قرارك .

انتزعت نفسها لحظتها من خوفها وتوترها ، وهى تهتف :

ـ وما الثمن الذى يمكن أن تطلبه ؟!

عاد إليها بخطوات مسرعة ، جعلتها تلتصق بالجدار مرة أخرى ، ومال نحوها ، حتى ارتطمت أنفاسه بوجهها ، وهو يقول :

ـ أى ثمن يا امرأة .. عندما تتخذين قرارك ، سيكون عليك دفع أى ثمن أطلبه منك .. أى ثمن ، أيًا كان ، وبلا أدنى مناقشة .

« أى ثمن أيًا كان .. »

ترددّت العبارة فى ذهنها عشرات المرات ، وهى تحدّق فى تلك الهرة الصغيرة ، التى سئمت الرقاد ، فنهضت داخل قفصها ، تداعب أسلاكه ، وتدور حول نفسها فى حيوية ..

ومع الدموع التى انسابت من عينيها ، راحت تستعيد كلمته ..

نعم إنه حلم ..

حلم أن تعود شابة ، جميلة ، ناضرة ، تملئ بالحيوية والنشاط ، وتستطيع أن تسعد زوجها وحبيبها (أكرم) ..

(أكرم) الذى كثيرًا ما كانت تتشاجر معه ، عندما كانا يعيشان فى منزل أنيق ، وسط عالم متحضّر ، والذى أدركت قيمته وعشقه ، وهما هنا ، بين الأطلال ..

(أكرم) الذى لم يبال بفارق العمر بينهما ، والذى صنعته قفزة (أكرم) عبر الزمن ، وضمها إليه بكل الحب والحنان ..

(أكرم) ، الذى تخشى فى كل لحظة أن يتركها ..

أن يدرك عمرها الحقيقى ..

وأن يسعى بالفعل ، خلف شابة صغيرة ، يانعة ، مفعمة بالحيوية وبكل نشاط الدنيا ..

من يدرى ؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

إنه ، كما قال الذئب ... رجل .

سرى الخوف ، مع ارتجافة باردة ، فى كل خلية من خلاياها ، ووجدت نفسها تهتف فى مرارة :

ـ لا يا (أكرم) .. لا تفعلها .

لم تكد تنطق بها ، حتى سمعت صوت باب يفتح ، فى مقر الذئب ، الذى يفصلها عنه جدار واحد ، وسمعته يقول فى صرامة :

ـ ماذا فعلت ؟!.. وما هذا ؟!

كان صاحب الخطوات هو الدُّب ، الذى وقف أمام الذئب ، حاملاً ذلك الكلب الأصفر ، الذى تبعه فى امتنان ، وكان يبدو متوترًا ، وهو يجيب بصوته الغليظ ولهجته الفظة :

ـ إنه كلب ضال ، عثرت عليه بين الأطلال ، و ...

قاطعه الذئب فى صرامة غاضبة :

ـ لا تحاول خداعى .

انعقد حاجا الدُّب الكثَّان ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ خداعك ؟!

أشار إليه بسبَّابته ، وهو يستطرد فى غضب :

ـ نعم .. خداعى .. كلانا يعلم أنه ، ومنذ تلك الكارثة ، لا توجد أية حيوانات بين الأطلال .

قال الدُّب فى عصبية :

ـ ولكنه كان هناك .

لوَّح الذئب بسبَّابته ، فى غضب شديد ، ولكنه لم ينطق شيئًا ، على الرغم من عينيه المشتعلتين ، ثم لم يلبث أن أعاد كفيه إلى ما خلف ظهره ، ليعقدهما معًا فى صرامة ، بدت واضحة فى صوته ، وهو يقول :

ـ تخلَّص منه .

ضمّ الدُّب الكلب إلى صدره فى قوة ، وكأنه يحاول حمايته ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ مستحيل !..

اشتعل غضب عارم ، فى كل خلجة من خلجات وجه الذئب ، وبدا لحظات وكأنه سينفجر فى وجه الدُّب ، إلا أنه لم يلبث أن تجاوز هذا لسبب ما ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا فعلت فيما طلبته منك ؟!

ظلّ الدُّب يضم الكلب إلى صدره ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كل شيء صار كما خطَّطت له بالضبط .

سأله فى اهتمام :

ـ هل اقتنعوا بأنهم يواجهون خطر القتل ؟!

أجابه الدُّب فى سرعة :

ـ الرجال الذين أرسلتهم ، لم يكونوا يعلمون أنهم يهاجمون المنزل الآمن للزعيمين ، بل تصوَّروا ، كما أقنعتهم أنت ، أنهم يحاصرون منزل خائن ، باع أسرارنا للحصن ، ولكن الثلاثة رصدوا الحصار ، وجعلهم هذا يصدقون ما رويته لهم .

سأله فى اهتمام :

ـ وأين هم الآن ؟!

أجابه فى حسم :

ـ فى ذلك المخبأ الوهمى ... ينتظرون حتى صباح الغد ..

اقترب الذئب منه ، وهو يسأله :

ـ وهل صدَّقوا ما برزَّت به هذا ؟!

أومأ الدُّب برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كل حرف منه .

التقط الذئب نفسًا عميقًا فى ارتياح ، فسأله الدُّب فى فضول :

ـ ولكن لماذا لم تطلب منى قتلهم مباشرة ؟!

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيب الذئب ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ لو أنهم قتلوا ، فسيثير هذا موجة هائلة من الغضب ، بين رجال المقاومة ، وستجرى حتمًا تحقيقات فى هذا الشأن ، ولو حدث وعاد (نور) وفريقه ، فلن تغيب الحقيقة عنهم أبدًا ، كما أكَّدت كتب التاريخ ، التى روت مغامراتهم ، أما ما وضعتهم فيه ، فقد لا يتجاوزونه أبدًا .

لهثت أنفاس الدُّب فى أعماقه ، وهو يسأله :

ـ أتعنى ذلك المخبأ .

هزَّ الذئب رأسه نفيًا ، والتمعت عيناه ، وهو يقول :

ـ ذلك المخبأ مجرَّد مدخل لشيء آخر .. شيء لم يواجهوه قط من قبل .. بل لم يتصوَّروا حتى وجوده .. وعندما يواجه المرء ما يجهله ، فهو حتمًا سيعجز عن مواجهته .

شعر الدُّب بخوف عجيب فى أعماقه ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ أى شيء هذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه الذئب فى سرعة :

ــ شىء لا وجود له ..

وتضاعفت التماعة عينيه ، وهو يضيف فى وحشية عجيبة :

ــ العـدم .

وعلى الرغم من تلك الانتفاضة ، التى شملت جسده كله ، لم يفهم الدُب شيئًا ..

أى شىء .

* * *

7 ـ العـدم ..

لدقيقة أو يزيد ، ظلَّ جسد الدكتور (راشد) جامدًا فى مكانه ، على الرغم من الارتجافة العنيفة ، التى ترج أعماقه ، والقائد الأعلى يدور حوله فى صـمت ، بعينيه الشبيهتين بجمرتين من اللهب ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ والآن ، ماذا رأيت بالضبط ؟!

لم يكن الدكتور (راشد) ينوى أن يجيب ، إلا إنه ، وعلى الرغم منه ، وجد نفسه يقول ، فى صوت شديد الارتجاف :

ــ عـدم .

توقَّف القائد الأعلى ، ورمقه بنظرة نارية ، قبل أن يقول فى بطء :

ــ وكيف عرفت أنه عدم ؟!

من المؤكَّد أن الدكتور (راشد) أراد أن يكذب ، أو يخفى الإجابة الحقيقية لسبب ما ، إلا أنه فوجئ بلسانه يجيب ، وبنفس الارتجافة :

ــ فى البداية ، تصوَّرت أنه هناك ظلام رهيب ، يكمن خلف جدار ذلك المعمل ... ظلام لا يشبه أى ظلام عرفته من قبل .. حتى ما يطلقون عليه اسم (الظلام الدامس) .. إنه ظلام يملأ نفسك بالخوف والرعب ، لمجرَّد النظر إليه

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت لحظات ، ازدرد خلالها لعابه فى صعوبة ، قبل أن يتابع ، فى صوت أكثر ارتجافًا :

ـ ظلام هو الرعب نفسه .

انتظر القائد الأعلى أن يكمل الرجل حديثه ، فلما طال صمته ، قال فى صرامة ، يستحثه على المواصلة :

ـ ثـم ؟!

امتقع وجه الدكتور (راشد) ، وكأنما مجرَّد ذكر الأمر ، يعيد إليه ذكرى تلك اللحظات الرهيبة ، إلا أنه لم يلبث أن غمغم ، وهو يحدِّق فى العينين الناريتين :

ـ ثم أدركت أن هذا يشبه ما انتزعناه من عقل (محمود) ، قبل أن يبدأ جسده الزوريومى فى العمل .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عندئذ أدركت أن هذا هو العدم ؟!

جف حلق الرجل فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ أجـل .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم سأل ، فى صرامة أكثر :

ـ ولكنك لم تعلم ماذا يوجد هناك ... فى قلب العدم ؟!

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا فى ارتياع ، وهو يجيب :

ـ لقد أسرعت أعدو مذعورًا ، فور رؤيتى هذا .

قال القائد الأعلى ، وصرامته تتزايد :

ـ ولم يغلبك فضولك العلمى للمعرفة ؟!

قال الدكتور (راشد) ، وهو يشارف الانهيار :

ـ رعبى كان أشدّ .

شدّ القائد الأعلى قامته ، وصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول بلهجة مخيفة :

ـ خطـأ .

فى بطء مذعور ، استدار إليه الدكتور (راشد) ، فتابع بنفس اللهجة المخيفة :

ـ كان ينبغى أن يدفعـك فضولك العلمى للمعرفة .. أو لطرح السؤال على الأقل .

كلماته جعلت رجفة باردة تسرى فى كيـان الدكتور (راشد) كله ، قبل أن يسأل ، فى خوف وتردُّد شديدين :

ـ ماذا يوجد هناك ؟!

تألَّقت عينا القائد الأعلى ، وكان هذا السؤال هو بالتحديد

Looloo
www.dvd4arab.com

ما كان ينتظره ، وشدّ قامته أكثر ، وهو يقول :

ــ أمور لا يمكنك تخيُّلها أبدًا .

جف حلق الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

ــ هذا ما توقَّعته .

مـال القائد الأعلى نحـوه ، وبدا صوته أشـبه بفحيح أفعى ضخمة ، من أفاعى الجحيم ، وهو يقول مكملاً :

ــ وما سيزيد من معارفك العلمية ، إلى حد لا يمكنك تصوُّره .

نجحت تلك العبارة الأخيرة ، فى استعادة الفضول العلمى ، فى أعماق الدكتور (راشد) ، حتى إن أنفاسه تلاحقت ، وهو يسأله :

ــ ماذا بالضبط ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

ــ لا بد وأن ترى بنفسك .

ارتجف جسد الدكتور (راشد) فى عنف ، عند سماعه العبارة ، وبدت الكلمات وكأنها تنهار على شفتيه ، وهو يقول :

ــ هل ستتعـ ...

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ــ لن يستغرق هذا وقتًا طويلاً :

حاول الدكتور (راشد) أن يكرِّر فى هلع :

ــ هـل ..

مرة أخرى قاطعه القائد الأعلى ، فى صرامة مخيفة :

ــ سنذهب إلى هناك معًا .

بدا صوت الدكتور (راشد) أشبه بصحراء جافة ، وهو يغمغم :

ــ معًا ؟!

التمعت عينا القائد الأعلى ، أو أنهما توهَّجتا فى شدّة ، وهو يجيب فى لهجة ، هى الرعب كله ، واضعًا يده فى قوة ، على كتف الدكتور (راشد) :

ــ الآن .

شعر الدكتور (راشد) بموجة باردة كالثلج ، تسرى فى كيانه كله ، من موضع يد القائد الأعلى ، وشعر بالمكان كله يظلم من حوله ، و ...

وفجأة ، لم يعودا فى مكتب القائد الأعلى ..

لقد صارا هناك معًا ..

فى قلب العدم ..

مباشرة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

على نحو لم ترصده عين الظلام من قبل قط ، اشتعلت مساحة كبيرة من الأطلال ، بعد قليل من غروب الشمس ..

مساحة واسعة ، سرت فيها النيران ، على الرغم من أنها تتكوّن كلها من أحجار وأطلال جافة ..

وهناك ، فى قلب الحصن ، ومع ذلك المشهد العجيب ، غمغم (هيثم) مشدوهًا :

ــ رباه !.. كيف حدث هذا ؟!..

بدا العلماء فى حيرة أكبر منه ، وأحدهم يقول :

ــ المفترض ألا يحدث أبدًا .

هتف (هيثم) فى عصبية :

ــ ولكن عين الظلام ترصده .

قال عالم آخر ، فى عصبية لا تقلّ عن عصبية :

ــ سواء أكانت ترصده أم لا ، هذا لا يمكن أن يحدث ؛ فما نراه هنا ليس نيرانًا عادية .

قال (هيثم) بنفس العصبية :

ــ ما أراه يشبه أيّة نيران رأيتها ، فى عمرى كله .

أشار عالم ثالث إلى الشاشة ، وهو يقول :

ــ ولكنها تبدو كذلك فحسب .. إنها لا تتأجج كأية نيران معروفة .. إنها نيران متأرجحة ، كما لو أنها .. كما لو أنها ..

لم يطق (هيثم) صبرًا ، فهتف فى غضب :

ــ كما لو أنها ماذا ؟!..

قال رابع فى توتر :

ــ كما لو أنها نيران لعبة من الألعاب الرقمية ، التى كانت واسعة الانتشار ، قبيل تلك الكارثة .

تراجع فى دهشة هائلة ، وهو يردّد :

ــ نيران لعبة رقمية ؟!!

ثم استعاد عصبيته ، وهو يضيف :

ــ مستحيل !.. لا يمكن أن يحدث شيئًا كهذا !!

« بل إنه أمر ليس عسيرًا ، بالنسبة لخبيرة مثلى .. »

قالتها (نشوى) فى حسم ، فحدّق فيها (هاشم) فى دهشة بالغة ، وهم يقطعون الأطلال فى الظلام ، وهتف :

ــ ولكن كيف ؟! لست أرى حولنا أية نيران ، ولكنكم جميعًا تسيرون فى ثقة واطمئنان ، مؤكدين إن عين الظلام لن يمكنها رصدنا ؛ لأن كل ما سترصده ، مجرّد مساحة واسعة من النيران ، تحجب أية حرارة أخرى .. فكيف هذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابته (سلوى) فى حزم :

ـ إنه أمر يطلق عليه اسم (الخداع الرقمى) يا سيِّد (هاشم) .. تلك العين لا تملك عقلاً مفكرًا كالبشر ، ومهما بلغ نوع ذكائها الاصطناعى ، فهو لا يزال اصطناعيًّا ، لن يمكنه أن يتفوَّق قط ، على الذكاء البشرى التقليدى .

أضاف (نور) ، عند هذه النقطة :

ـ إنها تمتلك مجسَّات حرارية ، ترصد أى مصدر حرارى ، وكل ما فعلته (سلوى) و(نشوى) ، هو أن أرسلنا إليها إشارة رقمية ، تحمل الشفرة نفسها ، التى تعمل فـور رصدها للحرارة ، لذا فهى ، وعلى نحو رقمى بحت ، تلتقط ما يبـدو لها أشبه ببث حرارى مرتفع ، من مساحة واسعة مـن الأطلال ، وهذا يشغل مساحة ذاكرتها كلها ، حتى إنها عاجزة الآن عن رصد أى شىء آخر .

قال (هاشم) فى انبهار :

ـ ألهذا نواصل مسيرتنا ، على الرغم من غروب الشمس ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ كلنا مرهقون للغاية يا رجل ، ولكنها فرصة مثالية ، من الخطأ أن نضيعها .

تدخَّل (أكرم) ، قائلاً فى توتر :

ـ السؤال هنا هو : متى سنبلغ ذلك الحاجز ، لو واصلنا قطع الأطلال ، فى قلب الظلام .

مطَّ (هاشم) شفتيه ، وقال فى حذر :

ـ مع مطلع الشمس على الأرجح .

تمتم (أكرم) فى توتر :

ـ عظيم .

كان (نور) صامتًا خلال محادثتهما ، يتطلَّع إلى السماء فى انتباه ، حتى سألته زوجته (سلوى) فى خفوت :

ـ ماذا يشغلك إلى هذا الحد يا (نور) ؟!

صمت (نور) لحظات أخرى ، مواصلاً تحديقه فى السماء ، قبل أن يشير بسبَّابته إلى أعلى ، مجيبًا :

ـ النجـوم .

رفعت عينيها إلى السماء بحركة غريزية ، وهى تسأله فى قلق :

ـ ماذا عنها ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

تردَّد لحظة ، قبل أن يتوقَّف ، قائلاً :

ـ ربما أكون مخطئًا ، ولكننى أحتاج إلى دليل ما .

سألته فى قلق أكثر :

ـ أى دليل ؟!

لم يجب سؤالها ، وهو يسألها فى انتباه :

ـ هل عثرتما ، داخل تلك الدودة العملاقة ، على آلة تصوير رقمية ، من أى نوع ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ ليس داخل الدودة العملاقة ، ولكن ذلك الذئب أعطانا واحدة .

مدَّ (نور) يده إليها ، قائلاً فى لهفة :

ـ أعطينى إياها .

التقطت من جيبها آلة تصوير رقمية صغيرة ، وقالت ، وهى تناوله إياها :

ـ إنها ليست قوية ، ولكن ...

قاطعها فى لهفة :

ـ لا بأس .

توقَّف الجميع يتطلعون إليه فى اهتمام ، وهو يضغط زر تشغيل آلة التصوير الرقمية ، ثم يضعها فى عناية على سطح مستو بقدر الإمكان ، بحيث توجَّهت عدستها إلى السماء ، فسأله (أكرم) فى توتر :

ـ هل تحاول التقاط صورة لعين الظلام ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ بل للنجوم .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، قبل أن يقول (هاشم) ، فى شىء من العصبية :

ـ ربما يبدو هذا رومانسيًّا ، ولكن فى ظروف كهذه ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ اصـمت .

ارتفع حاجباه فى دهشة مستنكرة ، وهو يطبق شفتيه بحركة غريزية ، فى حين لاذ الكل بالصمت التام ، وهم يحدقون فى آلة التصوير ، التى ظلَّ (نور) يراقبها فى اهتمام ، لخمس دقائق كاملة ، قبل أن يضغط زر إيقافها ، ثم يلتقطها ، ويدير أزرارها ، ليشاهد الصورة التى التقطتها ، فمال بعضهم يتطلع إليها بنوره ، وشاهدوا التماعة عينى (نور) ، وهو يسألهم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ماذا ترون ؟!

أجابه (رمزى) ، فى دهشة حذرة :

ــ النجـوم .

سأله فى سرعة :

ــ فى أية هيئـة تبدو ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة ، فى اهتمام بالغ :

ــ على هيئة نقاط صغيرة مضيئة ، و ...

ثم شهقت فجأة ، ورفعت عينيها إليه ، هاتفة فى انفعال :

ــ وهذا مستحيل تمامًا ؟!

هتف (نور) فى حماس ، وهو يلوّح إليها بسبَّابته :

ــ بالضبط !

بدا (أكرم) عصبيًّا بحق ، وهو يهتف :

ــ هل يمكننا فهم سر استحالة هذه الصورة ؟!

كانت (نشوى) من التفتت إليه تجيبه ، وقد شملها انفعال جارف :

ــ وفقًا لأبسط قوانين الفيزياء ، فالأرض تدور حول نفسها ، مرة كل أربع وعشرين ساعة ، ولا تتوقَّف عن الدوران لحظة

واحدة ؛ لذا ، فإذا ما حاولت التقاط صورة للنجوم ، عبر أسلوب التعريض الطويل ، الذى استخدمه أبى ، فهى تظهر أشبه بأقواس دائرية من الضوء ، ومن المستحيل أن تظهر كنقاط مضيئة ، إلا فى حالة واحدة .

أكمل (نور) عند هذه النقطة فى حزم :

ــ لو توقَّفت الأرض عن الدوران .

صعقتهم عبارته فى عنف ، فتراجعت (سلوى) بحركة حادة ، واتسعت عينا (رمزى) عـن آخرهما ، وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين قال (هشام) فى عصبية :

ــ أى قول أحمق هذا ؟!

أشار (نور) إلى الكاميرا الرقمية ، قائلاً فى حزم :

ــ القول الذى أثبتته هذه الصورة يا رجل .. الأرض توقَّفت عمليًّا عن الدوران لسبب ما .

استمر ذهولهم المستنكر لحظات ، قبل أن تقول (نشوى) فى توتر :

ــ ولكن هناك استحالة فيزيائية أخرى لهذا .

التفت إليها (نور) ، يسألها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ من ناحية ؟!

أشارت بيديها ، مجيبة :

ـ اليوم مازال يستمر على نحو عادى جدًا ، فنحن نشهد طلـوع الشمس ، وعبورهـا السـماء ، وحتى مغيبها خلف الأطلال ، وهذا يستحيل أن يحدث إلا لو كانت الأرض تواصل دوراتها ، على نحو طبيعى .

غمغمت (سلوى) ، وقد حيرها هذا التناقض :

ـ هذا صحيح .

قال (هاشم) فى حذر :

ـ ربما كا هذا يعنى أن نظريتك خاطئة أيها الأسطورة !

زمجر (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

ـ استنتاجات (نور) دومًا صحيحة .

قال (هاشم) فى حدة :

ـ جلّ من لا يخطئ .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ونعم بالله .

فقال (هاشم) ، معقبًا فى سرعة :

ـ إذن فنظريتك خاطئة .

أجابه (نور) فى حزم أكثر :

ـ كلاَّ ، ولكن هناك تفسير حتمًا ، لهذا التناقض الفيزيائى .

غمغمت (سلوى) ، وهى تتلفَّت حولها ، فى توتر شامل :

ـ أمور عديدة فى هذا الزمن ، تحتاج إلى التفسير يا (نور) ، وتتناقض مع كل ما عرفناه .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ فى المعتاد ، يكون هناك تفسير واحد ، لكل تلك الغوامض .. تفسير يجيب عنها جميعًا ، ويجعلها ، نسبة إليه ، منطقية تمامًا ، وقابلة للفهم .

سأله (رمزى) :

ـ ومتى يمكن أن نجد هذا التفسير ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف :

ـ عند ذلك الحاجز .. (كوباء) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ودون اتفاق مسبق ، وعلى نحو متشابه تقريبًا ، حبس الكل أنفاسهم ..

بكل توتر الدنيا ..

* * *

« لا .. لن أحتمل هذا .. »

هتف (محمود) الصغير بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، وهو ينهض من مقعده بحركة حادة ، فأشار إليه (طارق) ، قائلاً فى صرامة :

ــ اجلس .

هتف به (محمود) الصغير فى حدة :

ــ ليس من حقك أن توجِّه أوامرك إلىَّ .. أنت شقيقى الأصغر فحسب .

قال (طارق) الصغير فى غضب :

ــ وأنا خالك ، فهل من حقى هذا .

نقل (محمود) الصغير عينيه بينهما فى عصبية ، ثم قال فى حدة :

ــ لماذا صدقتم ذلك الدُّب ؟!.. ما أدرانا أنه يقول الحقيقة ؟!.. هل سنجلس صامتين هنا ، فقط لأنه رجانا أن نفعل هذا ؟!

أجابه (طارق) فى خفوت :

ــ كلاً بالطبع .

ثم استدرك فى صرامة :

ــ ولكننى واثق من أنه يقول الحقيقة .

لوَّح (محمود) الصغير بيده فى وجهه ، هاتفًا فى غضب :

ــ وكيف يمكنك أن تثق فى هذا ؟!.. لم لا تكون خدعة أخرى للتخلُّص منا ، ونحن محبوسون هنا كالفئران .

قال (طارق) الصغير فى ضيق :

ــ لو أن هذا هدفه لفعلها هناك ، فى ذلك المنزل الآمن ، أو حتى داخل ذلك الممر دامس الظلام ، الذى سرنا فيه معًا ، ولكنه لم يفعل .

هتف (محمود) الصغير :

ــ وماذا لو ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتجَّ المخبأ كله فى عنف مباغت ، جعل ثلاثتهم يهبون من أماكنهم ، ويستلون أسلحتهم ، و(طارق) الصغير يهتف :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

تلفَّت (طارق) حوله فى توتر ، وهو يشهر سلاحه فى وضع التحفُّز ، قائلاً :

Looloa
www.dvd4arab.com

ـ لست أدرى ، ولكنه يبدو مثل ...

مرة أخرى ، وقبل أن تكتمل العبارة ، ارتج المكان ..

وفى عنف أكثر هذه المرة ..

عنف ، كاد يختل معه توازنهم ، ويسقطون أرضًا ، حتى أن (محمود) الصغير هتف فى عصبية شديدة :

ـ أرأيتم ؟!

مع نهاية هتافه ، طار أحـد جدران المخبأ فجأة ، وبفرقعة قوية ، صمت آذانهم ، وجعلتهم يغلقون أعينهم مرغمين ، مع الرياح القوية العنيفة ، التى هبَّت فى وجوههم ..

ثم فتحوا أعينهم ، فاتسعت عن آخرها ، فى مزيج من الذهول والارتياح والاستنكار ..

فما كشف عنه ذلك الجدار المنهار ، كان أكثر أمر مرعب رأوه فى حياتهم كلها ..

أمر جعلهم يتمنون لو أن الدُّب قد قتلهم بالفعل من قبل ..

فهو أمر يعنى أيضًا فناءهم ..

وعلى نحو بشع ..

إلى أقصى حد ..

* * *

ضحكة عجيبة ، تلك التى أطلقها الذئب ، بعد أن ألقى عبارته الأخيرة المفزعة ، على مسامع الدُّب ، الذى حدَّق فى دهشة ، تكاد تبلغ حد الذهول ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى بالعدم ؟!

أشار الذئب بذراعيه ، هاتفًا فى لهجة عجيبة ، أقلقت الدُّب بشدة :

ـ العدم يا رجل .. الفراغ .. اللا شىء .. ذلك المخبأ ، الذى قدتهم إليه ، والذى تصوَّرت أنه سيحميهم ، هو الباب إلى أكبر وأخطر شىء ، يمكن أن يواجهه بشر .. إنه الباب إلى الجحيم .. جحيم لم يأت ذكره فى أية كتب سماوية ..

انعقد حاجبا الدُّب الكثان ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لم أفهم .

هتف به الدُّب ، وعيناه تلتمعان فى وحشية :

ـ إنه مكان حيث يتوقَّف كل شىء .. الزمن والتاريخ والأمل والمستقبل .. مكان يمكن أن تحيا فيه لآلاف القرون ، دون أن يكبر عمرك لحظة واحدة ..

عاد يطلق ضحكة أخرى أكثـر وحشية ، قبـل أن يضيف ، والتماعة عينيه تتضاعف ، على نحو مخيف :

www.dvd4arab.com

ــ هل رأيت مصيرًا أبشع من هذا ؟!

سمعت (مشيرة) ذلك الحوار فى سجنها ، فاتسعت عيناها ، وهى تغمغم فى رعب :

ــ يا للوحشية !!.. يا للسادية الوحشية !!..

أما الدُب ، فقد تراجع فى توتر بالغ ، وانعقد حاجباه الكثان فى شدة ، وهو يحدّق فيه بدهشة مستنكرة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ــ من أنت ؟!

التفت إليه الذئب بحركة حادة ، ورماه بنظرة نارية ملتهبة ، وهو يقول :

ــ ماذا دهاك يا رجل ؟!.. آلا تعرف من أنا ؟!

أجابه الدُب ، فى صرامة غاضبة عصبية :

ــ كلاً .. لست أعرف من أنت !

واجهه الذئب فى ثورة ، قائلاً :

ــ أنا الذئب .. زعيم زعماء المقاومة .

قال الدُب فى عصبية ، وهو يسحب خنجره :

ــ لا .. لست هو .. لست الرجل الذى عرفته منذ سنوات طوال .

زمجر الذئب فى وحشية ، وهو يقول :

ــ هل تجرؤ على مواجهتى ، ورفع خنجرك فى وجهى ؟!

انقض عليه الدُب ، صارخًا :

ــ أجـــل .

وانطلقت زمجرة عالية رهيبة فى المكان ..

زمجر ذئب ..

حقيقى ..

مفترس ..

جـــدًا ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

8 ـ أنيـاب الخطـر ..

بكل رعب الدنيا ، راح الدكتور (راشد) يتلفّت حوله ، محاولاً رؤية شيء ما ، فى قلب العدم ..

أى شيء ..

كان ذلك الظلام الدامس الرهيب ، يحيط به من كل جانب ، وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من تعارضه مع كل قواعد الفيزياء ، كـان يرى القائد الأعلى فى وضوح ، ويستطيع رؤية أجزاء جسده هو ، التى تقع فى نطاق رؤيته ، ولكن فيما عدا هذا ، وفيما يخصّ كل ما حولهما بلا استثناء ، كان هناك ظلام ..

ظلام دامس ..

مخيف ..

رهيب ..

أو هو ليس ظلامًا بالمعنى المعروف ..

إنه العدم ..

شيء لم يره بشر من قبل .. وهو على قيد الحياة على الأقل ..

وفى لهجة خاصة ، تجمع ما بين الظفر والصرامة والشماتة ، قال القائد الأعلى ، وهو يتطلّع إلى عينى الدكتور (راشد) مباشرة :

ـ أهذا كل ما رأيته ؟!

انحبست الكلمات فى حلق الدكتور (راشد) ، واتسعت عيناه فى رعب ، فاكتفى بإيماءة رأس ، جعلت القائد الأعلى يتراجع ، وهو يقول بنفس اللهجة :

ـ هذا يعنى أنك لم تر شيئًا بعد .

ثم مررَّ يده على الهواء ، أو على العدم ، فبرز إثر تمريرته جسم آخر ..

جسم أشبه فى تكوينه بالبشر ..

ولكنه ليس بشريًا ..

على الإطلاق ..

وعلى الرغم من أنه لم يلتق به فى حياته من قبل قط ، وعلى الرغم من أن معرفته به لا تتعدّى ما قرأه عنه ، وما استخدمه العلماء ، فى محاولة صنع نموذج مطابق له ، إلا أنه تعرّفه فور رؤيته ..

تعرّفه بوجهه الأخضر ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، ورأسه الأصلع المميَّز ..

Looloo
www.dvd4arab.com

(س ــ 18) ..

ذلك المقاتل الأطلنطى الآلى ، الذى ارتبط اسمه طويلاً ، باسم (نور) وفريقه ، فى العديد من مغامراتهم(*) ..

كان يقف هناك .. فى قلب العدم ، غامضًا كعادته ، جامدًا كآليته ، صامتًا كالعدم المحيط به ..

وفى برود مخيف ، أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ــ هل تعرّفته ؟!

غمغم الدكتور (راشد) ، فى صوت مبحوح متحشرج .

ــ (س ــ 18) ..

مال نحوه مرة أخرى ، يسأله :

ــ هل تعرف ما الذى يمكن أن يفعله (س ــ 18) ؟!

بحّ صوته أكثر ، وهو يجيب :

ــ الكثيــر .

أشار القائد الأعلى إلى (س ــ 18) مرة أخرى ، قائلاً :

ــ قدراته تتحدّى كل ما وصل إليه العلم وبلغته التكنولوجيا فى هذا العصر .. قدرات هائلة ، تتجاوز كل ما يمكنك التفكير فيه .

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) ... المغامرة رقم (47) .

غمغم الدكتور (راشد) ، وصوته يزداد تحشرجًا :

ــ ولكنه لا يطيع سوى صوت (نور) .

تجاوز القائد الأعلى العبارة ، وتجاهلها تمامًا ، وهو يقول :

ــ من أهم قدراته الخارقة ، أنه يستطيع القيام برحلة مذهلة ، عبر الزمان والمكان .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) فى ذهول ، فتابع القائد الأعلى فى صرامة :

ــ ولكن تلك الرحلة ستستهلك كل طاقته ، وخاصة لو أنه يحمل فى رحلته كائنًا آخر .

بدا صوت الدكتور (راشد) خافتًا عجيبًا ، وهو يسأل فى انفعال :

ــ أتعنى أنه يستطيع أن يحمل بشريًا ، فى رحلة عبر الزمان والمكان ؟

رفع القائد الأعلى سبّابته أمام وجهه ، وهو يجيب فى حزم :

ــ يستطيع أن يحمل كائنًا واحدًا ، فى رحلة واحدة ، وبعدها سيفقد كل طاقته ، حتى آخر قطرة منها ، وإما أن يتحوّل عندئذ إلى تمثال جامد من معدن لا يقهر ، أو يعمل نظام الأمن الخاص داخله ، فور نفاد طاقته ، ليفنى ذلك الجسد المعدنى الآلى ، حتى لا يقع فى يد قوة أخرى ، تسيئ استغلاله

Looloo
www.dvd4arab.com

غمغم الدكتور (راشد) ، وقد كاد صوته ينهار :

ـ أتعنى إعادة شحنه واستغلاله ؟!

صمت القائد الأعلى لحظات ، قبل أن يجيب فى بطء ، وهو يعاود النظر إلى عينى الدكتور (راشد) مباشرة وكأنما يرصد رد فعله :

ـ حتى الآن ، لا توجد وسيلة معروفة لهذا .. حتى نحن ، لا نملك الطاقة الكافية لإعادة شحنه .

ضغط عمدًا حروف (نحن) هذه ، وهو يواصل التطلّع إلى عينى الرجل ، اللتين اتسعتا عن آخرهما ، وهو يقول :

ـ أنتم ؟!

مرر القائد الأعلى يـده مرة أخرى على العدم ، فظهرت من خلفه عدة أجساد أخرى ..

أجساد لم يكد الدكتور (راشد) يراها ، حتى أطلق شهقة رعب قوية ، وهو يرتدّ فى عنف كالمصعوق ..

فقد كان ما رآه رهيبًا ..

بشعًا ..

إلى أقصى حـد ..

* * *

انقضاضة رهيبة ، تلك التى انقضّ بها الدُّب على الذئب ..

وزمجرة مخيفة ، تلك التى أطلقها الذئب ..

وصرخة مدوية ، تلك التى أطلقتها (مشيرة) ، عند سماعها ما حدث ..

لم تكن ترى ما يحدث ، ولكنها كانت تسمع أصوات القتال العنيفة ، ونباح ذلك الكلب الأصفر ..

وفى أقصى ركن من محبسها ، انزوت منكمشة فى رعب ..

فقد كان من الواضح أن القتال عنيف ..

إلى أقصى حـد ..

كان الدُّب شديد القوة والضخامة ، بالغ الغضب والانفعال ، ويحمل خنجرًا ماضيًا ، مما يوحى بأن نتيجة المعركة محسومة مسبقًا ..

ولكن الذئب ، على الرغم مع فارق الحجم الملحوظ ، بينه وبين الدُّب ، لم يكن بالمقاتل الهيّن ..

لقد كان يجيد مهارات قتالية يدوية خاصة ، تم تطويرها عبر الزمن ، ولا تبالى تقنياتها بفارق الحجم أو القـوة ..

فمع انقضاضة الدُّب ، أطلق الذئب زمجرة [illegible] حول

Looloo www.dvd4arab.com

نفسه فى رشاقة مذهلة ، منحنيًا فى الوقت ذاته ، بحيث هوى خنجر الدُّب فى الفراغ ، وانثنى جسده الضخم على ظهر الذئب ، الذى اعتدل بحركة سريعة ، وأمسك ذراعه ، وأدارها فى حرفية ، فوجد الدُّب نفسه يطير فى الهواء ، على الرغم من جسد الضخم ، ويرتطم بالجدار بمنتهى العنف ..

وعلى الرغم من آلام عظامه ، نهض فى سرعة ، وهو يقبض على خنجره فى قـوة ، ولكنه فوجئ بالذئب يثب نحوه ، وشعر بقدميه تضرباته فى وجهه بمنتهى العنف ، فاصطدم رأسه بالجدار مرة أخرى ، وأفلت مقبض خنجره ، على الرغم منـه ، وعندما مد يده محاولاً التقاطه ، وجد نصله على عنقه ، وشعر بيد الذئب اليسرى تجذب شعره فى قوة ، ليجبر رأسه على التراجع ، وبيده اليمنى تكاد تغرس نصل الخنجر فى عنقه ، وبصوته الصارم يقول :

ـ رسميًا ، يمكننى اعتبار ما فعلته خيانة عظمى ، وفقًا لقانون المقاومة .

ثم التمعت عيناه ، وهو يضيف فى قسوة :

ـ وهذا يمنحنى الحق فى قتلك .

كان يضـغط نصـل الخنجر على عنقه بالفعل ، حتى بدأ عنقه يدمى ، وأيقن الدُّب من أنها النهاية ..

ولكن فجأة ، زمجر الكلب الأصفر فى غضب ..

ثم انقضّ على الذئب ..

كان يحمى صاحبه ، الذى أطعمه وسقاه ، وحماه وضمه إلى صدره ..

وكانت انقضاضته مباغتة تمامًا ..

انقضّ على معصم الذئب ؛ ليمنعه من ذبح الدُّب ، بخنجر هذا الأخير ، فأطلق الذئب شهقة قوية ، وتراجع مشتبكًا مع الكلب ، ومدافعًا عن نفسه ضد أنيابه ومخالبه ، مما أعطى الدُّب الفرصة ليقفز واقفًا ، وينقض على الذئب بدوره ، وهو يهتف فى تأثُّر :

ـ لقد أنقذنى .. لقد جازف من أجلى .

لم يكن بوسع الذئب ، مهما بلغت مهارته ، أن يواجه الاثنين فى آن واحد ، لذا فسرعان ما انتزع منه الدُّب الخنجر ، وهو يهتف فى ظفر :

ـ خسرت أيها الذئب .

صرخ الذئب ، وهو ما زال يقاوم أنياب ومخالب الكلب :

ـ ابعد هذا الشىء عنى .

Looloo
www.dvd4arab.com

أمسـك الدُّب كليه ، وقـال له فى حنان عجيب ، لا يتفق مع الموقف كله :

ـ كفى يا صديقى .. كفى .

توقَّف الكلب فجأة ، وكأنما أطاعه مباشرة ، وتراجع بضع خطوات إلى الخلف ، وهـو يطلق زمجرات قصيرة متقطِّعة متحفزة ، فرمقه الدُّب بنظرة بغض قاسية ، قبل أن يلتفت إلى الدُّب ، قائلاً فى غضب :

ـ ما زال هذا يعدّ خيانة عظمى فى قانوننا .

قال الدُّب ، قائلاً فى غضب عصبى :

ـ وماذا عما فعلته أنت ؟!.. ألم تهمّ بقتلى منذ لحظات ؟!

نهض الذئب فى حذر ، وهو يقول :

ـ لو أننى أردت قتلك ، لما احتاج منى هذا إلا لسحبة خنجر واحدة .. لقد كنت ادافع عن نفسى فحسب .. أنت هاجمت ، وأنا قاومت .. معادلة طبيعية للغاية .

أشار إليه الدُّب ، هاتفًا فى غضب :

ـ لقد أصابك جنون السلطة ، وغلبتك شهوة السطوة ، فتخلَّصت

من الفهد والليث والتمساح فى البداية ، حتى يخلو لك الجو ، وتنفرد بالسلطة ، ثم حاولت بعدها إقناعى بالتخلُّص من الثعلب والحرباء ، ورجل أمن الحصن السابق .. أليست هذه خيانة ؟!

اتجه الذئب فى هدوء ، نحـو براد صغير ، أخرج منه قنينة شراب ، صب منها الشراب فى كوبين ، وهو يقول :

ـ لمـاذا لم آمرك بقتلهم إذن ؟!.. بل ولمـاذا لم أحـاول التخلُّص منك فى البداية ، واتهامك بأنك المسئول عن قتل الفهد والليث والتمساح ؟!.. أجب عن هذه الأسئلة فى أعمق أعماقك ، وستدرك أنك تنظر إلى الأمور من زاوية خاطئة .. خاطئة تمامًا .

كان يولى ظهره للدُّب ، الذى لم ير تلك الزجاجة الصغيرة ، التى أخرجها الذئب من جزء خفى فى كم سترته ، وأضاف منها قطرتين إلى أحد كوبى الشراب ، قبل أن يعيدها إلى مخبأها ، ثم يلتقط الكوب ، ويستدير به إلى الدُّب ، وهو يواصل :

ـ السياسة أمر شديد التعقيد يا صديقى ، ولكى تدافع عن الوطن ، وتعلى شأن (مصر) ، قد تضطرك الظروف إلى فعل ما لا ترضاه فى الظروف العادية ..

التقط الدُّب الكوب فى حذر ، والذئب يرفع كوبه إلى شفتيه ، متابعًا :

www.dvd4arab.com

ـ ثم إننا زعماء .. وفى قلب حـرب طاحنـة ، لاستعادة السيطرة على عالمنا ، وفى ظروف كهذه ، ولابد وأن تنحى قلبك ومشاعرك ، وأحيانًا كل مبدأ تؤمن به أيضًا ، من أجل أن تربح المعركة .

راقبه الدُّب جيدًا ، وهو يرتشف الشراب ، واطمأن قلبه كثيرًا ، عندما شاهده يرتشف جرعة كبيرة منه ، وخاصة عندما أضاف الذئب فى حماس كبير :

ـ من أجل (مصر) .

اخترقت عبارته الأخيرة قلب الدُّب ، وفجَّرت فيه حماسًا عجيبًا ، جعله يرفع كوب الشراب إلى شفتيه ، هاتفًا :

ـ نعم .. من أجل (مصر) .

والتمعت عينا الذئب فى شدة وظفر ..

فما هى إلا لحظات ، ويتحوَّل الدُّب الضخم ، إلى رضيع برئ ..

وينتهى زعيم آخر من زعماء المقاومة ..

إلى الأبد ..

* * *

بمنتهى الاهتمام والانتباه ، راقب (نور) قرص الشمس ، وهو يرتفع فى بطء ، من خلف الأطلال ، فجلست (سلوى) بمنتهى الإرهاق على أول بقايا جدار وجدتها ، وهى تقول :

ـ ماذا أيضًا هذه المرة ؟!

أشار إليها (نور) بالصمت ، ثم رفع آلة التصوير الرقمية ، وراح يلتقط الصور لقرص الشمس ، فى تتابع بطئ ، جعل (نشوى) تقول :

ـ قرص الشمس يفسد الصور فى المعتاد يا أبى .

قال فى حزم :

ـ هذا لو أنه قرص الشمس .

عبارته هذه أدهشت الجميع ، فتطلعوا بنظرة واحدة إلى قرص الشمس ، قبل أن يتساءل (أكرم) :

ـ ألا يبدو لك كذلك ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ بلى .. إنه يبدو كذلك .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم التفت إليهم جميعًا ، مردفًا فى حزم :

ــ ولكن ليس كل ما يلمع ذهبًا .

قال (رمزى) فى توتر :

ــ (نور) .. إننى عاجز عن فهمك هذه المرة .

ولوّح (هاشم) بيده ، قائلاً :

ــ وأنا توقّفت عن محاولة الفهم ، منذ مساء أمس .

لم يبال (نور) بتعليقاتهم ، وهو يناول الكاميرا لابنته قائلاً :

ــ قومى بتكبير هذه الصور وفحصها ، وأخبرينا بمَ توحى إليك .

التقطت (نشوى) الكاميرا ، وأوصلتها بجهاز الكمبيوتر الصغير معها ، وراحت تفحصها ، و(نور) يسأل (هاشم) :

ــ كم تبقى لنا ، حتى نصل إلى ذلك الحاجز .

أشار (هاشم) إلى نهاية الأطلال ، على مسافة مائة متر فحسب ، وهو يجيب :

ــ ها هو ذا .

أداروا أعينهم إلى حيث يشير ، وهزّت (سلوى) رأسها فى توتر ، وهى تقول فى دهشة ، شاركها فيها الجميع :

ــ لست أرى شيئًا .

قال (هاشم) فى توتر عصبى :

ــ هذا هو سر قوته .. لا يمكنك أن تريه .. عند نهاية الأطلال تمتد صحراء صخرية ، إلى مدى البصر ، وهذه الصحراء يمكنكم رؤيتها ، ولكن لا يمكنكم أبدًا بلوغها ؛ لأن (كوباء) يفصلكم عنها .. عندما تبلغونه ، سترتطمون به ، وستحاولون تجاوزه بكل السبل ، ولكنكم لن تنجحوا أبدًا فى هذا .

قال (أكرم) فى صرامة :

ــ من وجهة نظرك فحسب .

بدا (هاشم) غاضبًا ، وهو يقول :

ــ لقـد فعلت كل ما يمكنكم تصورُه .. استخدمت القنابل .. حفرت لستة أمتار تحت الأرض .. استعنت بجهاز ترددات بالغ القوة ، وكل هذا لم يفلح أبدًا .

قالت (سلوى) ، وهى تعيد فحص أجهزتها للمرة الأخيرة :

ــ ربما لم تكن تملك ما نمتلكه ، من أجهزة وخبرة .

رمقها بنظرة استهتار ، وقال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ مع احترامى لأجهزتكم وخبرتكم يا سيِّدتى ، فهى تعود إلى عصر سابق .. عصر يتعبره علماء الحصن أشبه بعصر القاطرة البخارية ، بالنسبة لما توصلوا إليه هنا .

قال (رمزى) فى حسم :

ـ هذا لا يمنع من أننا قد نجحنا فى خداعهم ، وهزيمة تكنولوجيتهم ، والفرار من حصنهم ، على الرغم من الفارق الزمنى ، بيننا وبينهم .

قال (هاشم) فى إصرار :

ـ ولكنهم استخدموا كل تكنولوجيتهم ، فى محاولة لاختراق ذلك الحاجز ، ولم يمكنهم هذا .

استدار إليه (نور) ، يسأله فى اهتمام :

ـ كانوا يحاولون اختباره فحسب ، أم اختراقه بالفعل .

صمت (هاشم) لحظات ، وكأنما صدمه السؤال ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر شديد :

ـ أخبرونا أنهم يختبرونه ، ولكن الواقع أنهم كانوا يحاولون اختراقه .

مال (نور) نحوه ، قائلاً :

ـ لأنهم لا يعلمون بالفعل ماذا يدور خلفه .

أجابه (هاشم) فى اقتضاب عصبى :

ـ هذا صحيح .

التفتت إليه (سلوى) ، تسأله فى حيرة :

ـ لماذا هذا السـؤال يا (نور) ؟!

لاذ (نور) بالصمت لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ لأنه لدى نظرية عجيبة ، قد يكون فيها تفسير لكل هذا الغموض ، الذى يحيط بكل شىء هنا .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ أية نظرية هذه يا (نور) ؟!

تطلَّع (نور) إلى الأفق لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ إنها نظرية مغرقة فى الخيال يا صديقى ، وشديد الغرابة فى الوقت ذاته ، ثم أنها تثير فى نفسى الكثير من الخوف ، على أرضنا التى عرفناها .

قال (أكرم) فى حذر متوتر :

ـ تقصد زمننا يا (نور) ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

هزَّ رأسه نفيًا فى بطء ، وتطلَّع إلى الأفق لحظة أخرى ، قبل أن يقول فى إصرار :

ـ بل أرضنا .

كان (رمزى) و(هاشم) و(سلوى) يهمون بإلقاء سؤال فضولى قلق ، عندما قطعت (نشوى) سؤالهم ، وكتمته فى أعماقهم وحلوقهم ، وهى تقول :

ـ رباه !.. كنت على حق يا أبى .

التفت الجميع إليها فى لهفة ، و(نور) يسألها فى اهتمام :

ـ أكان ما توقَّعته صحيحًا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ إنها ليست الشمس التى نعرفها .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة مذعورة ، وهتف (هاشم) مستنكرًا :

ـ ليست ماذا ؟!

التفتت إليه فى توتر ، مجيبة :

ـ انظروا إلى الصورة ، عندما قمت بتكبيرها مائة مرة ..

هذه الخطوط الأفقية فى الصورة ، ليست خاصة بخلايا الكاميرا الطبيعية ، إنها خطوط خاصة بالشمس نفسها .

تساءل (أكرم) ، فى حيرة حذرة :

ـ وهل تحوى شمسنا على خطوط ما ؟!

هزَّت (نشوى) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلاَّ بالطبع .. شمسنا هى نجم متوسِّط الحجم ، يتكوَّن سطحه من غازات ملتهبة ، أما ما نراه هنا تصوير هولوجرامى لها ، مزوَّد بإضاءة صناعية ، ومصدر حرارى مفتعل ، حتى تبدو وكأنها الشمس التى نعرفها .

هبط قولها عليهم كالصاعقة ، وألجم ألسنتهم فى حلوقهم ، مع مقدار هائل من الذهول والاستنكار ، باستثناء (نور) ، الذى هزَّ رأسه متفهمًا ، وهو يهتف ، قائلاً فى حزم :

ـ هذا يتفق مع نظريتى .

أمسكته (سلوى) من ذراعه ، وهى تهتف فى توتر :

ـ (نور) .. حان الوقت لتشرح لنا نظريتك .

أجابها فى حزم أكثر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ليس بعد يا عزيزتى .. ليس بعد .. عندما نبلغ ذلك الحاجز ، ونجد سبيلاً لعبوره ، سأجد الدليل على نظريتى ، وعندئذ ...

لم يكمل عبارته ، وهو يتحرك مكملاً مسيرتهم ، فهتف (هاشم) فى عصبية :

ـ هل سيحتفظ بنظريته لنفسه ؟!

قال (أكرم) فى صرامة ، وهو يتبع (نور) :

ـ اصـمت .

واصلوا سيرهم ، وتجاوزا منطقة الأطلال ، وتلفَّتت (سلوى) حولها ، وهى تقول فى توتر :

ـ مازلت لا أرى ذلك الحاجز ، الذى ..

قبل أن تكمل عبارتها ، ارتطمت فجأة بشىء ما ..

شىء مخملى ..

صلب ..

خفى ..

شىء جعلها ترتد مذعورة ، وهى تهتف :

ـ مستحيل !

توقَّف الكل دفعـة واحـدة فى انفعال ، وتقدَّم (نور) نحو (سلوى) ، ومدَّ يده يتحسَّس ذلك الحاجز فى حذر ، وهو يعقد حاجبيه ، قائلاً :

ـ تمامًا كما وصفته (مشيرة) ... مخملى وصلب فى الوقت ذاته .

تقدَّمت (نشوى) تلمس الحاجز بدورها ، وتقول فى دهشة :

ـ عجيب أن يتفق هذا وذاك .

تقدَّم (رمزى) و(أكرم) بدوريهما يتحسَّسان ذلك الجدار الخفى ، فى دهشة وحذر ، فى حين بقى (هاشم) فى مكانه ، وهو يقول :

ـ إنه ليس مخمليًا كما تظنون ، إنها ترددات الفائقة للغاية ، التى تمنحكم ذلك الشعور الزائف بمخمليته .

التفت إليه (نور) لحظة ، ثم قال لزوجته :

ـ (سلوى) ، لو أنه يحوى ترددات فائقة ، فأنت الشخص المناسب للتعامل معه .

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ وأنا أيضًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

هزَّ (هاشم) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ــ لن يجدى هذا .

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ ربما .. ولكننا لم نعقد الاستسلام بهذه البساطة .. سنحاول حتى آخر رمق .. وبكل الوسائل .

وأدار عينيه إلى تلك الأجهزة ، التى أحضروها من الدودة الآلية العملاقة ، وهو يضيف فى حسم :

ــ حتى غير التقليدية منها .

وانعقد حاجبا (هاشم) فى شدة :

فحديث (نور) ولهجته ، حملاً الكثير من الغموض ..

الكثيــر ..

جــدًا ..

* * *

9 ـ كوبـاء ..

بذل (هيثم) جهدًا خرافيًا ، ليخفى خوفه وتوتره فى أعماقه ، وهو يعبر ذلك الجزء المتموِّج من الجدار ، إلى حجرة القائد الأعلى ، الذى استقبله فى صرامة ، قائلاً :

ــ ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

أجابه (هيثم) ، فى توتر واضطراب :

ــ أمور عديدة يا سيِّدى .. المنطقة القريبة من (كوباء) ، يحيط بها انبعاث حرارى قوى ، لا يستطيع العلماء تفسيره ، وتلك الاهتزازات ، من باطن الأرض تتواصل ، على نحو غير مفهوم ، وأجهزتنا سجَّلت فيضًا من الطاقة ، فى بقعة من الأطلال ، على مقربة من منطقة تمركز المقاومة ، فى نفس الوقت الذى اختفى فيه الدكتور (راشد) تمامًا ، ولم يستجب لأى نداء ، مما وجهناه إليه ، ولم نعثر له على أدنى أثر ، فى الحصن كله .

استمع إليه القائد الأعلى فى اهتمام وانتباه ، ثم تجاهل كل النقاط ، فيما عدا نقطة واحدة ، اعتدل بمقعده ، قائلاً فى صرامة :

Looloo www.looloo.com

ـ ذلك الانبعـاث الحرارى غير المفهوم ، هـل أتى من نفس البقعة ، التى اختفى عندها أثر (نور) وفريقه ؟!

أجابه (هيثم) فى سرعة :

ـ أجـل ؟!

تراجع القائد الأعلى مفكرًا بضع لحظـات ، قبل أن يعتدل فجأة ، قائلاً بلهجة آمرة صارمة :

ـ فليكن .. فى هـذه الحالة ، اسـتمع إلىّ جيدًا ، ونفـذ ما سآمرك به .. وبالحرف الواحد .

فى نفس اللحظة ، التى كان يلقى فيها أوامره ، كانت (سلوى) تهزّ رأسها نفيًا ، وهى تلتفت إلى (نور) ، قائلة :

ـ لا توجد وسيلة بالفعل يا (نور) .. تلك التردُّدات ، التى تصنع هذا الحاجز الواقى ، أقصر من أية تردُّدات عرفتها فى زمننا .

غمغم (هشام) :

ـ وحتى فى هذا الزمن .

رمقته (نشوى) بنظرة خاوية ، وقالت :

ـ إنها أقصر حتى من كل ما يمكن تحقيقه ، وفقًا لقوانين الفيزياء .

غمغم (نور) ، مضيفًا :

ـ المعروفة فى أرضنا .

مرة أخرى ، التفت إليه الجميع ، وقال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسَّس مسدسه التقليدى بحركة متوترة :

ـ مازلت تثير فى نفوسنا خوفًا مبهمًا يا (نور) .

قال (نور) فى لهجـة ، لا تقل غموضًا عما يقوله ، طوال الدقائق الماضية :

ـ ماذا عن الحقيقة إذن يا صديقى ؟!

سحب (أكرم) مسدسه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ على الأقل ، الحقيقة يمكن مواجهتها .

قال (هاشم) فى سخرية :

ـ ليس بمسدسك .

رفع (أكرم) مسدسـه ، وأطلق منـه رصاصة ، فى حركة غريزية غاضبة ، نحو ذلك الحاجز الخفى ، وهو يقول فى حدة :

ـ مَن يدرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

دوى صوت الرصاصة ، على نحو كاد الجميع يعترضون معه على ما فعله ، لولا أن اتسعت عيونهم جميعًا ، مع ما حدث فى اللحظة نفسها ..

لقد اخترقت رصاصة (أكرم) ذلك الحاجز ، وصنعت فيه مجموعة من الدوائر ، ذات المركز الواحد ، كما لو أنها بحيرة صغيرة من المياه ، سقط فيها حجر .. وخلال ثانيتن فحسب ، اختفت تلك الدوائر ، واختفى معها الحاجز ..

والأعجب أن رصاصة (أكرم) أيضًا ... اختفت ..

وفى ذهول ، حدَّق الجميع فى البقعة ، التى حدث فيها ذلك التأثير ، قبل أن تقول (نشوى) لاهثة ، من فرط الانفعال :

ـ لقد اخترقتها .

هتف (هاشم) فى حماس شديد ، وهو يربِّت على ظهر (أكرم) فى قوة :

ـ فعلتها يا رجل .. فعلتها .

بدا (أكرم) أكثرهم ذهولاً ، وهو يحدِّق فى مسدسه ، مغمغمًا :

ـ حقًا ؟!

هتف (رمزى) فى حماس :

ـ ماذا لو أطلق (أكرم) عليه عدة رصاصات ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ لست أظن هذا ... اختراق رصاصة (أكرم) للحاجز ، يحمل دلالات أخرى ، يمكننا الإفادة منها .

وافقته (سلوى) ، وهى تقول فى حماس :

ـ الرصاصة جسم معدنى .

أضافت (نشوى) :

ـ وتنطلق بسرعة فائقة .

أشار (رمزى) بسبَّابته ، مكملاً :

ـ ونحو نقطة بعينها .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ بالضبط .. السؤال الآن هو : ماذا لو وضعنا جسدًا بشريًا ، داخل أسطوانة معدنية ، ويمكننا إطلاقها بنفس سرعة الرصاصة ، وفى اتجاه أفقى ، نحو ذلك الحاجز الخفى مباشرة ؟!

ترددت (نشوى) ، وهى تقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا يمكننا الجزم بالنتائج ، لأننا ما زلنا نجهل الكثير ، عن طبيعة هذا الحاجز ..

قالت (سلوى) مضيفة ، فى قلق ملحوظ :

ـ وهذا محفوف بالكثير من المخاطر .

قال (نور) فى حزم :

ـ وكذلك وجودنا هنا .

ثم التفت إلى ما أحضروه من أجهزة ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ لو استخدمنا هذه الأشياء ، وأمكننا صنع جسم أسطوانى منها ، فقد نستطيع صنع الأسطوانة المطلوبة ؛ لاختراق هذا الحاجز .

قال (رمزى) فى خفوت :

ـ هذا لو وجدنا الطاقة الكافية .

أجابت (نشوى) فى سرعة :

ـ يمكننى استخدام مصدر الطاقة ، الذى استخرجناه من تلك الدودة العملاقة ، لتأمين طاقة كافية .

وشحب صوتها مع وجهها ، وهى تكمل :

ـ لانطلاقة واحدة .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ إنها تكفى .

ثمَّ صفَّق بكفيه ، مضيفًا فى لهجة قائد :

ـ فلنبدأ العمل إذن .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ هذا يعنى أن نفقد كل ما لدينا من أجهزة ، ومصدر للطاقة !

أجابها فى حزم :

ـ إنها لم تفدنا .. أليس كذلك ؟!

حار سؤال على شفتيها لحظات ، وهى تكتمه فى خوف ، قبل أن تطلقه إلى شفتيها ، لتقول فى انفعال :

ـ (نور) .. لعلك لا تفكِّر فى ...

قاطعها وهو يشيح بوجه عنها ، ملتفتًا إلى (أكرم) ، ومشيرًا إليه ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ (أكرم) .. أريد التحدُّث إليك قليلاً ، بينما يقوم الآخرون بعملهم .

أومأ (أكرم) إيجابًا دون مناقشة ، وتبعه إلى البقعة التى اختارها ، والتى ستحجبها حتمًا عن أنظار الآخرين ، فى حين أشارت (سلوى) إلى (رمزى) و(هاشم) ، قائلة فى عصبية واضحة :

ـ انضما إلينا .. سنحتاج إلى العديد من الأيدى ؛ لإتمام هذا العمل ، بالسرعة اللازمة .

اتجـه إليهـا (رمزى) مسرعًا ، فى حين تباطأ (هاشم) عمدًا ، وهو ينظر إلى حيث اختفى (نور) و(أكرم) ، وكل ذرة فى كيانه تتساءل : فيم يتحدثان ؟!

فيـم ؟!..

* * *

« إنهم ليسوا بشرًا ! »

هتف (محمود) بالعبارة فى عصبية ، وهو يسبح ، مع شقيقه وخاله ، فى ذلك العدم الرهيب ، فقال (طارق) الصغير فى توتر شديد :

ـ تكوينهم يشبه تكويننا الجسدى إلى حد كبير .

قال (طارق) فى خفوت ، حمل الكثير من الانفعالات :

ـ ولكن الوجوه .. هل رأيت كيف تبدو وجوههم ؟!

أجابه الدكتور (راشد) ، بصوت مرتجف :

ـ إنها بشعة !

صمت لحظة ، وكأنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه لم يلبث أن أضاف ، فى صوت أكثر ارتجافًا :

ـ زرقاء شاحبة ، ذات عيون واسعة ، وأنياب بارزة ، وآذان طويلة .. تمامًا كوجوه أولئك الموتى الأحياء ، الذين كنا نشاهدهم ، فى أفلام السينما الأمريكية القديمة .

ارتجف صوت (طارق) الصغير بشدة ، وهو يقول :

ـ أتعنى أنهم ... سيلتهموننا ؟!

قـال (طارق) الكبير فى توتر ، وهو يتلفَّت حوله ، محاولاً اختراق ذلك الظلام الدامس الرهيب :

ـ أخشى ما هو أسوأ يا صديقى .

وصمت لحظة ، انتبه خلالها الجميع له ، قبل أن يردف ، وقد تضاعف توتره :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أن يتركوننا هنا .. إلى الأبد .

قال (محمود) الصغير فى عصبية :

ــ إننى أفضل الموت .

قال الدكتور (راشد) فى مرارة :

ــ الموت يعدّ بمثابة جائزة ، لمن فى مثل موقفنا .

عاد (طارق) يتلفّت حوله ، وهو يقول :

ــ جدى (نور) كان يقول دومًا : إنه هناك سبيل للخروج ، من أى موقف كان ، مهما بدا ذلك مستحيلاً .

أجابه الدكتور (راشد) فى يأس :

ــ هذا ينطبق على عالمنا .

قال (محمود) الصغير :

ــ ربما توجد قواعد لهذا العالم أيضًا .

هزّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لن يمكنك نعرفتها ؛ لأن كل شىء هنا يخالف ما نعرفه فى عالمنا .. إنها منطقة خارج الزمان والمكان ، ينفون فيها من يشكلون خطرًا عليهم مثلنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة :

ــ حتى (س ــ 18) ، احتجزوه هنا .

هتف (طارق) الصغير فى لهفة ، اشترك معه فيها الجميع :

ــ (س ــ 18) .. أتقصد ذلك الآلى الأطلنطى الفائق ؟!

أجابه الدكتور (راشد) فى دهشة :

ــ بالطبع .. ألا ترونه حولكم .

لم يكن أحدكم يراه فى الواقع ..

حتى تلك اللحظة ..

فما أن ألقى الدكتور (راشد) سؤاله ، حتى بدا واضحًا لأعين ثلاثتهم بغتة ، كما لو أن السؤال قد أضاء بصيرتهم دون إنذار ..

وفى لهفة وأمل ، هتف (محمود) الصغير :

ــ وفقًا لنا قالته كتب التاريخ ، فوجود (س ــ 18) هنا قد يعنى ...

قاطعه الدكتور (راشد) :

ــ لا تتشبّث بأمل زائف يا فتى .

قال (طارق) فى حزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ولكن جدى أكّد أن قدرات (س ـ 18) تتجاوز الخيال ، وقد نستطيع استخدامه ، ليحرّرنا من هذا العـدم .

هزّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وقال فى أسى :

ـ إنه لا يطيع سوى صوت (نور) .

قال (طارق) الصغير فى تردُّد :

ـ ربما أستطيع تقليد صوت جدى ، أو ...

قاطعه الدكتور (راشد) فى توتر :

ـ مستحيل أن تخدع برنامج ذلك الآلى .. وفقًا لما قرأته عنه ، فهو قادر على تمييز الأصوات ، بنسبة خطأ تبلغ واحد كل مائة مليار ، وهذا يعنى أنه حتى أجهزة الكمبيوتر ، لا يمكنها خداعه فى هذا الشأن .

قال (محمود) الصغير فى يأس :

ـ هذا يعنى أن خروجنا من هنا مستحيل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهم صوت تأوّهات ، جعلتهم يتسمرون فى مكانهم ، لو أن هذا المصطلح يمكن استخدامه ، فى قلب العدم ، ثم لم يلبث (طارق) أن همس ، فى توتر شديد الحذر :

ـ هناك شخص آخر هنا .

وكما حدث مع (س ـ 18) ، لم يكد يذكر هذا ، حتى ظهر ذلك الآخر ، وهو يطلق آهة ألم ثانية ، ويتلفّت حوله فى ذعر هائل ، جعله أشبه بطفل هائل الحجم ..

وبكل دهشته وانفعالاته ، هتف (محمود) الصغير :

ـ الدُّب ؟!

وكانت بالفعل مفاجأة ..

مدهشـة ..

جـدًا ..

* * *

قبل حدوث هذا بساعات قليلة ، كان الدُّب يرفع كوب الشراب إلى شفتيه ، ويهم بارتشافه ، وعنـدما رفع كلبه الأصفر عينيه إليه فى لهفة ، جعلته يخفض الكوب إليه ، وهو يقول :

• ـ إنه أكثر احتياجًا له منى .

انعقد حاجبا الذئب فى توتر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل ستسقى شرابى للكلب ؟!

ابتسم الدُّب ، وهو يربّت على رأس كلبه فى حنان ، والكلب

Looloo
www.dvd4arab.com

يعلق الشراب فى لهفة ، وقال :

ــ ربما يتجاوز هذا حدود اللياقة ، ولكننى لا أستطيع مس الشراب وهو عطش .

حمل صوت الذئب كل غضبه وانفعالاته ، وهو يقول :

ــ هذا بالفعل يتجاوز كل الحدود .

ربَّت الدُّب على رأس كلبه مرة أخرى ، ثم اعتدل ، قائلاً :

ــ الآن ، وباعتبارنا زعيمين كما قلت ، المفترض أن تطلعنى على ما تنتويه ، بخطتك شديدة التعقيد هذه .

ظلّ بصر الذئب معلقًا بالكلب ، الذى يواصل لعق الشراب فى لهفة ، وقال محاولاً كظم غيظه :

ــ إنها ، كما قلت أنت شديدة التعقيد ، حتى أنك لن تستطيع استيعابها .

قال الدُّب فى غضب :

ــ جربنى .

التقط الذئب كرة معدنية لامعة ، من أحد الأرفف البسيطة فى مخبأه ، وهو يقول :

ــ لقد أجريت تجربتى بالفعل .

ثم التفت إلى الدُّب ، مستطردًا فى مقت :

ــ وفشلت .

لم يفهم الدُّب ما يعنيه ، فحاول أن يلقى سؤالاً استفساريًّا ، و ...

وفجأة ، أطلق كلبه عواءً عجيبًا !!..

وعندما التفت إليه فى جزع ، كان الكلب يتلوّى فى عنف ..

وعندما انحنى عليه فى لهفة ، انتفض الكلب المسكين فى عنف ..

وأمام عينيه المذعورتين ، بدا له وكأن كلبه ينكمش ..

وينكمش ..

وينكمش ..

وتراجع الدُّب كالمصعوق ..

الكلب لم يكن ينكمش فعليًّا ..

لقد كان يصغر !!..

كان يتحوّل ، فى لحظات قليلة ، من كلب ناضج ، إلى جرو صغير .

وفى ذهول ، حدَّق الدُّب فيما يحدث ، ثم أدار عينيه فى حركة غاضبة إلى الذئب ، الذى كان يصوِّب إليه تلك الكرة المعدنية ، وهو يقول ؛ فى هدوء عجيب :

www.dvd4arab.com

ـ كان المفترض أن يحدث هذا لك .

اشتعلت عينا الدُّب غضبًا ، وهو يندفع نحوه ، صارخًا :

ـ أيهـا الوغـد الحقير ..

لم ير الدُّب ما الذى فعله الذئب بتلك الكرة المعدنية اللامعة ..

ولكنه شعر به تمامًا ..

شعر بصدمة قوية ، فى جسده الضخم كله .

صدمة دفعتـه إلى الخلف ، وضربته بالجدار ، بأعنف وأقوى مما يمكنه احتماله ، حتى أنه شعر بعظام جسده كله تتفتّت ، قبل أن يسقط مرتطمًا بالأرض ، وكأنه جوال من الأحجار الثقيلة ..

كـان رأسه يدور فى شدة ، ولكنه حاول النهوض ، وبدت له صورة الذئب متهزّة ، وهـو يقترب منـه فى هدوء ، ويعيد تصويب تلك الكرة اللامعة إليه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك قوى بحق .

وهنا جاءت الصدمة الثانية ..

وفى هذه المرة ، لم يستطع الدُّب احتمالها ، فارتطم رأسه بالأرض فى قوة ، مع انتفاضة جسده العنيفة ..

وأظلمت الدنيا بعدها تمامًا ..

وفى هدوء ظافر ، وقف الذئب يتطلّع إلى الدُّب الفاقد الوعى ، قبل أن يقول ، وعيناه تلتمعان فى شدة :

ـ لا أحد يمكنه هزيمة الذئب يا رجل .. لا أحد .

قالها ، واستدار فى هدوء ، إلى جدار جانبى ، اتجه إليه ، وضغط ركنًا خفيًّا ، فتحرّك الجدار كله ، وانزاح كاشفًا تلك الفجوة ، التى يحتفظ فيها بـ (مشيرة) ، والتى تراجعت فى خوف ، ثم أطلقت شهقة فزع ، عندما وقع بصرها على الدُّب الملقى أرضًا ، والجـرو الأصفر الصـغير ، الذى يدور حوله مذعورًا ، ويلعق وجهه محاولاً إيقاظه ، وشحب صوتها مع وجهها فى شدة ، وهى تقول :

ـ هل .. هل قتلته ؟!

مطّ شفتيه ، قائلاً :

ليس بعد ... ربما أدخر له مصيرًا أسوأ ..

ـ ابتسم فى تشف مبتهج ، وكأنما يملأ الحديث عن السوء نفسه بالمتعة ، فسألته (مشيرة) فى خوف :

ـ وماذا عنى ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى صراحة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هذا يتوقَّف عليك .

قالت فى عصبية :

ـ لا أستطيع خيانة الفريق .

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ سيقضون نحبهم فى كل الأحوال .

قالت فى حـدة :

ـ هذا ما تتمناه .

أشار بسبَّابته قائلاً :

ـ بل ما أصبحوا متأكدين منه هناك .

وأمال سبَّابته نحو الخارج ، مستطردًا ، فى لهجة ظافرة :

ـ فى الحصن .

حدَّقت فيه بذهول مذعور ، وهى تهتف :

ـ رباه !.. هل تخون المقاومة ؟!.. هل تعمل لحساب الحصن ؟!..

نظر إليها لحظة فى دهشة ، قبل أن يطلق ضحكة مجلجلة ، قائلاً :

ـ بل الحصن يعمل لحسابى .

قالت مستنكرة :

ـ لحسابك أنت ؟!..

تراجع قليلاً ، وكأنما يفسح لهـا السبيل للخروج ، وهو يقول فى زهو :

ـ أحد كبار قادتهم عين لنا ، وهو يبلغنا ما يحدث ، أوَّلاً بأوَّل .

سألته فى دهشة وحذر :

من منهم بالضبط !!

لم يجب سؤالها ، وهو يكمل :

ـ هو من أخبرنى بعودتكم ، وهو من يبلغنى تطوّرات الموقف أوَّلاً بأوَّل ، وهو نفسه من أخبرنى أنه تم رصد موقع الفريق ، عند (كوباء) ، وأن دورية خاصة فى طريقها إلى هناك ، مع مركبة جوية ، للقضاء عليهم جميعًا .

ارتجف قلبها لقوله ، وكادت تصرخ فزعًا وألمًا ، وهى تتخيّل (أكرم) جثة هامدة ، بين تلك الأطلال ، ولكن كرامتها أبت عليها أن تطلق صرختها ، تمامًا كما أبت على دموعها أن تغرق وجهها ، وهى تقول :

ـ يمكنهم أن يحاولوا .

Looloo
www.dvd4arab.com

قال فى حزم :

ــ سيفعلونها .

هتفت فى عصبية :

ــ لماذا تطالبنى بالتعـاون معك ، وبخـداع أفـراد الفريق ، مادمت واثقًا هكذا ؟!

صمت لحظات فى ضيق واضح ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ــ تحسبًا .

التقطت نفسًا عميقًا ، لم ينجح فى تهدئتها ، وهى تقول :

ــ لست واثقًا إذن .

أشار بيده إلى الجرو الصغير ، وهو يقول :

ــ أنـا واثق من أنك لن تضيعى فرصـة نادرة ، تحلم بها كل امرأة فى الوجود ، فى أن تظل شابة إلى الأبد .

ثم مال نحوها ، مكملاً فى ظفر مسبق :

ــ فى عينى الرجل الذى تحب على الأقل .

عبارته فجَّرت فى أعماقها شعورًا قويًا ..

شعور لم يتوقَّعه هو قط ..

شعور بأن (أكرم) هو الشخص الوحيد فى الكون كله ، الذى لم ير أية علامات تقدّم فى السن على وجهها ..

الوحيد الذى يراها شابة ، جميلة ، نضرة ، طوال الوقت ..

هذا لأنه لا يراها بعيون رجل ..

بل بعيون حبيب ..

حبيب لن يغفر لها أبدًا ، لو فكَّرت مجرَّد تفكير ، فى خيانة رفاقه ..

حبيب جعل جسدها كله ينتفض فى حزم وصرامة واتفعال جارف ، وهى تقول فى تحد :

ــ كلاَّ .

تراجع بحركة حادة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يردِّد غير مصدِّق :

ــ كلاَّ ؟!

نهضت قائلة فى حزم :

ــ نعـم كلاَّ وألـف كلاَّ .. لن أخـون (نور) وفريقه ، حتى لو منحتنى الخلود نفسه ، وليس الشباب فحسب .

Looloo
www.dvd4arab.com

انتفض جسده ، فى انفعال عنيف ، وهو يهتف فى غضب :

ــ هل تدركين أية فرصة تضيعين ؟!

لوّحت بسبّابتها فى وجهه ، صائحة :

ــ هل تدرك أنت ما سأفقده ؛ لو وافقت على خطتك الدنيئة ؟

رفع الكرة المعدنية نحوها ، وهــو يرتجف من فرط الغضب ، هاتفًا :

ــ فى هذه الحالة .

تراجعت فى حركة غريزية ، على الرغم من جهلها بما تمثله تلك الكرة ، التى صوّبها نحوها فى غضب ، و ...

وفجأة ، صدر أزيز عجيب ، من مكان ما فى الوكر ..

أزيز جعله يخفض كرته اللامعــة ، ويندفع نحــو جــزء من الجدار ، هاتفًا :

ــ ها هو ذا .

ضغط زرًا خفيًا فى الجدار ، فانزاح جانب منه ، كاشفًا شاشة رصد كبيرة ، ظهرت عليها صورة مكتب أنيق ، يجلس خلفه رجل مستتر بظل كثيف ، يخفى وجهه تمامًا عن الرؤية ..

شخص تحدَّث فور ظهوره ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هل بلغت بك حماقتك هذا الحد ؟!

حدَّقت (مشيرة) ذاهلة فى تلك الصورة على الشاشة ، والذئب يجيب ، فى توتر شديد :

ــ أية حماقة تعنى ؟!

أجاب صاحب الصوت بنفس الصرامة :

ــ كشفت أمرك للدُّب ، وللسيِّدة (مشيرة) ، بدلاً من أن تتروّى ؛ لترى كيف ستسير الأمور .

بدا الذئب شديد التوتر ، وهو يقول :

ــ مازالت احتفظ بهما ، ولكننى قد ...

قاطعه فى صرامة :

ــ ترتكب حماقة أخرى بالقضاء عليهما ؟!

ارتجف صوت الذئب ، من فرط التوتر ، وهو يقول :

ــ وماذا تقترح أن أفعل بهما .

لم تسمع (مشيرة) الجواب ، وهى تحدّق فى تلك الصورة

www.dvd4arab.com

على الشاشة فى ذهول تام ..

فذلك الشخص ، الذى وصفه الذئب بأنه عين له فى الحصن ، كان آخر شخص يمكن أن تتصوَّره ..

بل يستحيل ، مهما بلغت عبقريتها أن تتصوَّره ..

يستحيل تمامًا ..

تمامًا .

* * *

10- النظـريـة ..

ثنى (نـور) جسـده فى مرونة ، لتستوعبه تلك الكبسولة المعدنية ، التى تعاون الكل فى صنعها ، من كل ما لديهم من آلات وأجهزة ، وقال فى صعوبة :

ـ إنها ضيقة بعض الشىء ، ولكن لا بأس .. المهم أن تؤدّى مهمتها بنجاح .

قالت (نشوى) ، عاجزة عن كتمان توترها :

ـ احتمالات نجاحها فى عبور ذلك الحاجز ، تبلغ ثمانين فى المائة تقريبًا .

سألها (أكرم) فى قلق شديد :

ـ ولماذا ليست مائة فى المائة ؟!

أشارت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

ـ لقد أدخلت كل العوامل فى برنامج الكمبيوتر .. وزنها ، ونوع مادتهـا ، ومقـدار الطاقة التى ستطلقها ، وسرعتها عند الاختراق ، ولكن هنـاك عامل ، ليست لدىّ معلومة واحدة ، يمكننى الاسترشاد بها بشأنه .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألها ، فى مزيد من القلق :

ــ وما هى ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تجيب :

ــ أبى .

التفت إليها الجميع ، فى تساؤل بالغ القلق ، فأكملت موضّحة :

ــ وجود عامل بشرى داخلها يخل بالمعادلة كلها ، فالتجربة العملية الوحيدة لدينا ، تخص الأجسام الصلبة ، التى تنطلق بسرعة كبيرة .

سرى قلق (أكـــرم) وتوتر (نشـــوى) فى نفوس الجميع ، فتساءل (رمزى) فى انفعال :

ــ وماذا يمكن أن يحدث فى رأيك ، فى حالة الفشل .

امتقع وجهها فى شدة ، وهى تجيب :

ــ ستعبر الكبسولة المعدنية .

سألها (هاشم) فى حذر متوتر :

ــ وماذا عن المقدّم (نور) ؟!

التمعت الدموع فى عينيها ، وهى تجيب فى خفوت :

ــ لن يعبر جسده .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ــ ولكنه داخل الكبسولة .

قالت فى إصرار ، ودموعها تنسال فى بطء على خديها :

ــ لن يعبر .

ثم أجهشت بالبكاء وفجأة ، وأخفت وجهها بين كفيها ، هاتفة :

ــ حيـــاً .

اتسعت عينا (سلوى) ، وحدّقت فى (نور) فى لوعة ، مردّدة :

ــ لا .. ربـــاه !!.. لا .. مستحيل !

وانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يندفع نحو الكبسولة ، قائلاً فى صرامة تموج بالعصبية والتوتر :

ــ اترك هذه الكبسولة يا (نور) .

أشار إليهم (نور) ، قائلاً :

ــ بعد كل ما فعلناه .

شمّر (اكرم) عن كميه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لن نخسر شيئاً .

Looloo
www.dvd4arab.com

وضرب صدره بقبضته ، مضيفًا فى عصبية :

ـ أنا سأذهب .

أزاح (هاشم) (رمزى) من أمامه ، قائلا فى حزم :

ـ بل أنا .. لن ينقسم الفريق فى زمنى ، بعد أن ظلّ كتلة واحدة عبر التاريخ .

بدأوا يتشاجرون فى توتر ، حول من منهم ينبغى أن يذهب ، حتى أخرج (نور) جسده من الكبسولة ، وقال فى صرامة ناهية :

ـ كفى .

التفت إليه الجميع فى توتر وانتباه ، فأضاف :

ـ هل يمكنكم أن تولونى ثقتكم ، هذه المرة أيضًا ؟!

كان (أكرم) أوّل من هتف :

ـ إننى أثق بك بكل جوارحى يا (نور) .

وقال (رمزى) فى حزم :

ـ كلنا هذا الرجل .

وقالت (نشوى) فى خفوت قلق :

ـ أى سؤال هذا يا أبى ؟!..

وسألته (سلوى) فى عصبية :

ـ بل لماذا هذا السؤال يا (نور) ؟!..

اكتفى (هاشم) بانعقادة حاجبيه ، و(نور) يجيب فى حزم :

ـ عندما قررّت أن أعبر هذا الحاجز بنفسى ، كانت لى أسبابى ، التى تحتم قيامى شخصيًا بهذه المخاطرة ؛ فلو نجحت خطتنا ، وعبرت بى الكبسولة إلى الجانب الآخر ، فسيثبت هذا نظريتى ، التى أكاد أثق فى صحتها ، ثقة تجعلنى أخوض المجازفة عن رضى .

سأله (رمزى) فى بطء :

ـ وماذا لو ثبت خطأ نظريتك يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول :

ـ لن يصنع هذا فارقًا كما تتصوّرون ؛ فكل قوات الحصن تستهدفنا وتعرف موقعنا الآن ، وكلنا يعلم أن خدعة الانبعاث الحرارى الزائف ، لن تخدعهم طويلاً ، وسرعان ما سنجدهم يحيطون بنا هنا ، ولحظتها لن نحظى بفرصة رحمة منهم .

www.dvd4arab.com

قال (هاشم) فى خشونة ، صنعتها محاولته لكتمان مشاعره :

ــ وهل سيغير إثباتك لنظريتك الموقف ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ــ أجـــل .

ران عليهم صـــمت مهيب ، بعـــد كلمته الأخيرة هذه ، وأدار هو عينيه فى وجوههم ، قبل أن يعود إلى تلك الكبسولة ، قائلاً ، بنفس اللهجة الآمرة :

ــ والآن هيا نكمـــل ما بدأنـــاه ، فالوقت يمضى بأسرع مما تسمح به الظروف .

حشر جسده داخل الكبسولة ، مستخدمًا كل مرونته ، ونظر إليهم ، مضيفًا فى لهجة آمرة حازمة :

ــ هيـــا .

تبادلوا نظرة متوترة ، ثم التقطت (نشوى) نفسًا عميقًا ، على نحو مسموع ، وهى تضغط زر أغلاق الكبسولة ، قائلة :

ــ ستنجح بإذن الله .

هتفت (سلوى) فى لوعة :

ــ (نور) .

منحها ابتسامة ثقة هادئة ، قبل أن تُغلق الكبسولة ، فتوقَّف الجميع حولها فى صمت ، يتطلَّعون إليها فى أسى ، وكأنهم يلقون نظرة وداع على (نور) ، حتى تنحنح (أكرم) فى صوت مرتفع ، وقال فى صرامة ، حاول أن يخفى بها تأثُّره :

ــ فلنطلقها .

تردَّدت (نشوى) لحظة ، ثم لم تلبث أن حسمت أمرها ، وانحنت تضغط زر إطلاق الكبسولة ، فتفجَّرت كل الطاقة التى زوَّدوها بها ، وانطلقت فجأة كالرصاصات ، بدوى عنيف ..

نحو الحاجز مباشرة ..

نحو (كوباء) .

وشهق الجميع ، قبل أن يحبسوا أنفاسهم فى قوة ..

وفى عقولهم جميعًا تفجَّر سؤال مخيف ..

هل ستنجح التجربة ، ويعبر (نور) الحاجز حيًّا ؟!..

هـــل ؟!..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

دون حتى أن تدرى ، راحت (مشيرة) ترتجف فى عنف ، وهى تصرخ :

ـ أيها الخائن .. أيها الحقير .

انعقـد حاجبا الذئب فى شـدة ، وهو يندفع نحوها ، ويمسك كتفيها بأصابع قاسية ، ويرجُّها فى قوة ، صائحًا :

ـ لست خائنًا .. ولست أسمح لك حتى بقولها .. أنا زعيم زعماء المقاومة .. هل تفهمين ما يعنيه هذا ؟!.. أنا زعيم كل الزعماء ، الذين يقاومون الحصن ، ويسعون لاستعادة السيطرة على عالمهم .

صرخت فيه :

ـ أهذا ما تحاول إيهام الآخرين به ؟!.. أهذه هى العبارت ، التى تخدعهم بترديدها .

وارتفعت صرختها ، وهى تكمل فى ثورة :

ـ أيها الخائن .

انتفض جسده من فرط الغضب ، وهو يصرخ فيها ، فى انفعال حقيقى :

ـ قلت لك : لست خائنًا .

اتسعت عيناها ، وهى تحدّق فيه ذاهلة ..

ربما كانت تصرُّفاته غير مقبولة ..

وربما تجاوز كل الحدود ..

وربما أعمته شهوة السلطة ..

ولكنه كان صادقًا تمامًا ، وهو يصرخ بعبارته الأخيرة ..

إنه لا يرى نفسه خائنًا للمقاومة ..

لا يظن حتى هذا ..

إنه ، مثل جميع من حوله ، مخدوع ..

إنه لم يكن يعلم من ذلك ، الذى أوهمه بأنه عين له ، من داخل الحصن ..

ذلك الذى استغله ، ليعبث بالمقاومة ..

وربما بهذا العالم كله ..

ذلك الذى ...

قطع أفكارها فجأة دوى عنيفا ، جعل جسدها كله ينتفض فى عنف ، وهى تطلق صرخة ، رعب هائلة ، عندما انفجر باب وكر الذئب ، وطار عبر الحجرة كلهـا ، ليرتطم بالجدار فى قوة ،

Looloo

ويهوى على قيد خطوة واحدة من الذئب ، الذى دار حول نفسه فى سرعة ، ووثب محاولاً التقاط كرته اللامعة ، لولا أن رأى فوهات عشر مسدسا تتردُّدية ، مصوَّبة إلى رأسه ، ورأى بينها وجه (هيثم) ، الذى عقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ مرحبًا أيها الذئب .. يا زعيم زعماء المقاومة .. أراهن أن وجودنا هنا مفاجأة .. أليس كذلك ؟!..

شحب وجه الذئب ، وهو يسأله ، بكل توتر الدنيا :

ـ كيف عرفتم مخبأى ؟!

هزَّ (هيثم) كتفيه ، قائلاً :

ـ إننا لم نجهله يومًا .

اتسعت عينا الذئب ، وهو يقول :

ـ أكنتم تعرفونه ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ طوال الوقت .

نهض الذئب فى بطء ، وهو يقول فى غضب ، امتزج بدهشته :

ـ لماذا تركتمونى أقاومكم إذن ؟!

ـ التفسير يفوق قدرتك على الفهم والاستيعاب .

انتفض جسد الذئب فى غضب ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك لا تقدِّر ذكاء الذئب .

أطلق (هيثم) ضحكة قصيرة ، تجمع بين السخرية والصرامة ، وهو يقول :

ـ بل أنت الذى لا تقدِّر ذكاءنا .

لوَّح الذئب بسبَّابته فى وجهه ، صارخًا :

ـ لقد اخترقت حصنكم .

رفع (هيثم) مسدسه نحوه ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

ـ ونحن سنخترق رأسك .

لم يجد الذئب جزءًا من الثانية ؛ ليستوعب معنى العبارة ، فقبل حتى أنْ تكتمل ، أطلق (هيثم) مسدسه ..

وأطلقت (مشيرة) صرخة أخرى مدوِّية ..

أطلقتها عندما نسف مسدس (هيثم) رأس الذئب ، الذى سقط جثة هامدة ، وحول بقايا رأسه ، تكوَّنت بركة من الدم ، راحت تتسع فى بطء ، و(هيثم) يتجاوزها فى لا مبالاة ، ويتجه نحوها هى ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً بابتسامة وحشية عجيبة :

www.dvd4arab.com

ـ لقد انتهى دوره ، ولم تعد لنا حاجة به .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وقالت بصوت متحشرج ، وهى ترتجف فى رعب :

ـ أنتم مخدوعون .

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ ربمـا .

ثم أعاد يده خلف ظهره ؛ ليصوب مسدسه إليها ، مستطردًا فى قسوة شديدة :

ـ ولكن أنتم حتمًا .. مهزومون ..

واتسعت عيناها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

كالرصاصة انطلقت الكبسولة نحو ذلك الحاجز ، واخترقته فى قوة ، مع صوت قوى عجيب ..

صوت أشبه بصوت سقوط حجر كبير ، فى بئر عميقة ..

ولوهلة ، بدا لهم ذلك الجزء ، الذى اخترقته الكبسولة ، قد انضغط معها فى قوة ، ثم ارتدّ فى عنف ، كما لو أنه غلاف من المطاط الشفاف القوى ..

ثم ، وكما حدث تمامًا مع رصاصة (أكرم) ، تكوّنت حول بقعة اخترقها مجموعة من الدوائر الضخمة ، ذات المركز المشترك ..

دوائر هائلة ، شملت مساحة كبيرة جدًا من الحاجز ، قبل أن تتلاشى فى سرعة كبيرة ..

وأيضًا ، كما حدث مع رصاصة (أكرم) ، اختفت الكبسولة تمامًا ، فور اختراقها للحاجز ..

كانت تلك الصحراء الصخرية تمتد خلفه فى وضوح ..

ولكن بلا أدنى أثر للكبسولة ..

وفى ارتياع ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه !.. لقد تلاشت ..

اتسعت عينا (نشوى) ، هاتفة بصوت مكتوم :

ـ مسـتحيل !..

Looloo
www.dvd4arab.com

وتجمّد (هاشم) و(رمزى) فى مكانهما ، فى حين اندفع (أكرم) نحو ذلك الحاجز ، وراح يضربه بقبضتيه فى قوة ، صارخًا :

ــ لا .. لن يحدث هذا لــ (نور) .. لا .

ظلّ يضرب الحاجز بقبضتيه طويلاً ، فى غضب شديد ، قبل أن يتراجع عنه ، ويسحب مسدسه فى حدة ، ويصوّبه إليه ، فصرخت (سلوى) :

ــ لا يا (أكرم) .. لا .

ووثب (رمزى) يمسك معصمه ، هاتفًا :

ــ إياك أن تفعلها .

قاومه (أكرم) فى شراسة ، صارخًا :

ــ اتركنى .

هتفت به (نشوى) فى ذعر :

ــ إنك قد تقتل أبى برصاصاتك هذه .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وخفض مسدسه ، متسائلاً :

ــ حقًّا ؟!

أجابته (سلوى) ، بمنتهى التوتر :

ــ نحن لا نعلم لماذا اختفت الكبسولة ، فور عبورها الحاجز ، كما اختفت رصاصتك من قبل ، ومن المحتمل أن كليهما قد انتقل إلى مكان آخر .

أضاف (رمزى) ، عند هذه النقطة :

ــ ولو أطلقت أنت رصاصاتك الآن ، فستنتقل حتمًا إلى المكان ذاته .

هتفت (نشوى) مكملة :

ــ وربما يقف أبى الآن ، حيث ستستقر .

اتسعت عينا (أكرم) مرة أخرى ، وكرر :

حقًّا ؟!

أما (هاشم) ، فقد هتف فى انبهار :

ــ رباه !.. قرأت وسمعت كثيرًا عن روح الفريق ، ولكنها المرة الأولى ، التى أشاهد فيها كيف تعمل .

تساءل (أكرم) فى انفعال ، عقب تعليق (هاشم) :

ــ أيعنى هذا أنه من المحتمل أن (نور) مازال على قيد الحياة هناك .. خلف هذا الشىء ؟!..

www.dvd4arab.com

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر ، كم نأمل هذا .

أشار بمسدسه إلى الحاجز الخفى فى توتر ، وهو يسأل :

ـ وهل من وسيلة للتيقُّن ؟!

تبادلوا جميعًا نظرة قلق عارمة ، قبل أن تجيب (نشوى) فى خفوت ، وبكلمات أقرب إلى البكاء :

ـ كلاَّ للأسف .

لم تكد تنطق عبارتها ، حتى ظهرت تلك الأجسام فجأة ..

أجسام طائرة ، برزت من خلف الأطلال ، واندفعت نحوهم ، تحيط بهم من كل صوب ..

أجسام فى حجم كرات القدم ، ولكنها شديدة اللمعان والسطوع ، راحت تدور حولهم فى سرعة ، جعلت (هاشم) يرفع قوسه فى توتر ، و(أكرم) يصوِّب مسدسه ، هاتفًا فى عصبية :

ـ ما تلك الـ ...

قبل أن يتم هتافه ، برز (هيثم) ورجاله حولهم ، وهو يقول فى صرامة ، تحمل قدرًا هائلاً من الظفر والسخرية والشماتة :

ـ انصحك ألا تحاول حتى يا سيِّد (أكرم) ؛ فهذه الكرات سوف تتخذ رد فعل هجوميًّا ، فـور إطلاقك رصاصة واحدة عليها ، وستطلق عليكما جميعًا أشـعة حارقة قوية ، ربمـا قبل حتى أن تبلغها رصاصاتك ، وستشويكم جميعًا أحياء فى لحظات .

تراجع الكل فى توتر شديد ، والتف رجال (هيثم) حولهم ، وهذا الأخير يضيف ، فى شماتة هائلة :

ـ ثم إن نقطة ضعفك قد عادت إلى قبضتنا .

ومال نحوه ، وأكمل ، وعيناه تلتمعان فى شدة :

ـ زوجتك (مشيرة) .

انعقـد حاجبا (أكرم) ، فى غضب واضـح ، ولكنه خفض مسدسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ أيهـا الأوغـاد .

وتبادل الباقون نظرة عصبية ، التمعت لها عينا (هيثم) أكثر ..

فقد صار من الواضح أن الحصن قد ربح المعركة ..

وبكل جدارة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

شعور رهيب ، ذلك الـذى انتـاب (نور) ، مع عبور تلك الكبسولة للحاجز الرهيب ..

فى البداية ، شعر بدوى هائل ، ينبعث فى أعمق أعماق عقله ، وبتيار عنيف ، أشبه بالتيار الكهربى ، يسرى فى كيانه كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، مع شعور بارد كالثلج ..

ومع انتفاضة جسده العنيفة ، دوت فى كيانه فرقعة أخرى ..

ودار رأسه فى عنف ، لم يشعر بمثله من قبل قط ، فى حياته كلها ..

ثم ارتجَّت الكبسولة ارتجاجة بالغة القوة ..

واستقَّرت دفعة واحدة ..

ولثوان ، لم يقـو (نـور) على تحريك أنملة ، مع الآلام الرهيبة ، التى انتشرت فى جسده كله ، والتى جعلته يطلق أهة مكتومة ، ويغلق عينيه فى تهالك ، ويغيب عن الوجود ، فيما بدا له دقيقة أو دقيقتين على الأكثر ..

ثم انتفض جسده مرة أخرى ..

انتفاضة فتح معها عينيه ، واستعاد به نشاط عقله وجسده ، فدفع باب الكبسولة ، ودفع جسده خارجها ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى ما خارجها ..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الوقت ..

أو حتى إلى الذكاء أو الخبرة ..

نظرة واحدة لما حوله ، كانت كافية ليدرك تمامًا أن نظريته كانت صحيحة تمامًا ، وأن ذلك العالم ، لم يكن أبدًا كما تصوّروه طوال الوقت ، منذ استعادتهم وعيهم ..

وعلى الرغم منه ، وعلى الرغم من أن ما يراه لم يكن يختلف كثيرًا عما توقَّعه ، فقد سرت فى جسده ارتجافة أكثر برودًا من جليد القطبين ، وهو يرفع عينيه إلى أعلى ..

فالحقيقة ، على الرغم من كل اتفاقها مع نظريته ، كانت مفزعة ..

رهيبـة ..

محبطـة ..

بلا حدود ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

11 ـ الحقيقـــة ..

« ليس هناك أمل .. »

نطقها (محمود) الصغير فى مرارة ، فاتسعت عينا (طارق) الصغير فى ذعر ، وهو يقول :

ـ أسيعنى هذا أننا سنبقى هنا .. فى قلب العدم ؟!

تلفَّت الدُّب حوله فى رعب ، وهو يبحث عبثًا عن خنجره فى حزامه ، قائلاً :

ـ العدم ؟!.. ماذا تعنى بالعدم ؟!.. أين نحن بالضبط ؟!

غمغم الدكتور (راشد) فى مرارة :

ـ فى مكان لم تحلم به ، حتى فى أبشع كوبيسك يا هذا .

اتسعت عينا الدُّب ، وهو يقول ، فى عصبية شديدة :

ـ هل أرسلنى الذئب هنا ؟!.. ولكن كيف ؟!

ثم دفع بصره على (س ـ 18) ، فارتدّ بحركة عنيفة ، صارخًا :

ـ وما هذا ؟!

أجابه (طارق) فى توتر :

ـ (س ـ 18) .

لم يفهم الدُّب ما قاله (طارق) ، ولكنه قال عصبية :

ـ أهو من يستخدمه الذئب ، لاعتقالنا هنا ؟!

تبادل جميعهم نظرة متوترة ، قبل أن يقـول (طارق) فى صرامة :

ـ من الواضح أنك لا تدرك شيئًا مما يحدث أيها الرجل .

انتفض جسد الدُّب ، فى عصبية امتزجت برعبه ، وهو يهتف :

ـ لست مجرَّد رجل .. إننى الدُّب .. أحد زعماء المقاومة .

قال الدكتور (راشد) فى استسلام مرير :

ـ هنا لا توجد مقاومة ، ولا يوجد أمل فى النجاة .

اتسعت عيناه فى رعب ، وهو يقول :

ـ لا أمل .. ماذا تعنى يا رجل ؟!

وضع (طارق) يده على كتفه ، فانتفض الدُّب فى قوة ، وتراجع بحركة حادة متحفزة ، فاعتدل (طارق) ، وقال فى حزم :

ـ دعنى أشرح لك كل ما يحدث هنا .. كل شىء .

فى نفس الوقت الذى بدأ يشرح فيه الأمر ، كان (نور) يقف خلف ذلك الحاجز ، فى المنطقة التى تم بسط نفوذه بعد سكان

Toobaa www.toobaa4you.com

الأطلال ، أو ربما رجال الحصن قط ، يدير عينيه فيما حوله ، ويتأمّل المكان فى اهتمام ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ـ كنت على حق بالفعل .

كان يقف وسط فارغ هائل ، لا يشبه قط ، فى أية تفصيلة منه ، تلك الصحراء الصخرية ، التى وجدها خلفه ..

هذا لأنه كان فراغًا صنعته كائنات عاقلة ، ولم تصنعه الطبيعة ..

كان يقف على أرضية لامعة ، مصقولة ، من معدن برّاق ، يبث حرارة متوسطة ، يشعر بها عند قدميه ، وهى تمتد لمسافة ستة أمتار تقريبًا ، لتنتهى عند جدار من معدن قوى ، يرتفع لمتر واحد ، قبل أن تمتد منه قبة هائلة ، من زجاج بالغ السماكة ، يبلغ سمكه خمس سنتيمترات على الأقل ..

أو هى مادة أشبه بالزجاج ..

مادة أكثر شفافية ، أو أكثر صلابة ..

ومن خلف تلك القبة شديدة الشفافية والصلابة ، كان يرى ما لم يتوقّع رؤيته بهذه السرعة ..

الفضـــاء ..

فضاء شاسع ، سرمدى ، لا نهائى ، تتراص فيه ملايين النجوم ، ومليارات الكواكب والأقمار !!..

وكان هذا يعنى أنهم بالفعل ليسوا على الأرض ..

ليسوا على أرضهم التى عرفوها ..

وربما منذ البداية ..

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى مرارة :

ـ كانوا يخدعوننا طوال الوقت .

تألّقت على مقربة منه مساحة من فراغ المكان ، فالتفت إليها فى بطء ، دون تهتز فى جسده شعرة ، فى حين راح ذلك التألق يتكثف ، ليتحوّل إلى هيئة يعرفها جيدًا ..

هيئة القائد الأعلى ..

كان يقف أمامه واثقًا ، مشدود القامة ، عاقدًا ذراعيه خلف ظهره ، ويحمل على شفتيه ابتسامة واثقة ظافرة ، فقال (نور) فى هدوء غير متوقّع :

ـ كنت أعلم أنه أنت .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ولكننى لم أتوقّع ، والحق يقال ، أن يمكنك التوصّل إلى الحقيقة .

واجهه (نور) بنصف التفاتة ، وهو يقول ، فى صرامة مماثلة :

ـ ألأنها ، من وجهة نظركم ، كانت أعقد من أن يتصوّرها أحد ؟!

Looloo

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وأجاب :

ـ ربمـا .

ثم أضاف فى مقت :

ـ ولكن يبدو أننا لم نقدِّرك وفريقك حق التقدير .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ هذا خطأ كل من واجهونا .. وأنتم فعلتم كل ما بوسعكم ، لجعلنا نعيش حقيقة وهمية .. العالم الوهمى الذى صنعتموه ، وذلك الحاجز (كوباء) ، الذى لم يكن مجرَّد حاجز ، يمنع من داخله من عبوره ، ومن معرفة الحقيقة ، التى تكمن خلفه ، بل هو أيضًا شاشة عرض هولوجرامية عملاقة ، نصف كروية ، تعرض طوال الوقت ، وبلا انقطاع ، صورة ثلاثية الأبعاد للسماء والشمس ، بحيث يشعر الكل ، وكأنهم مازالوا على كوكب الأرض .

تألَّقت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول فى ظفر :

ـ لا يمكنك أن تنكر أنها كانت شديدة الاتقان ، فلم يتمكَّن أرضى واحد من كشفها ، طوال ما يزيد عن ثلاثين عامًا أرضية .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ متقنة بالفعل ، فيما عدا ليلها ... ونجومها .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال فى ضيق :

ـ النجوم الثابتة .. كانت هذا عيبًا حتميًا للأسف ، لأنه حتى البرامج الهولوجرامية ، لابد لها من ساعات سكون ، حتى يمكنها الاستمرار .

وصمت لحظة ، ثم استطرد ، فى شىء من الحدة :

ـ ثم إن أحدًا لم ينتبه إليها قط ، طوال السنوات السابقة .

قال (نور) فى هدوء ، لا يتناسب مع موقفه :

ـ ربما لأن الناس يعتادون ما يرونه باستمرار ، وبعد ثلاثة عقود من الاعتياد ، ولن ينظر أحد إلى السماء قط ، ويتساءل : لماذا لا تتحرَّك النجوم ، ولكننا استيقظنا هنا بقفزة واحدة أو لم نملك الوقت لاستيعاب خلل الظاهرة أو اعتياده .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، وغمغم فى مقت :

ـ كان ينبغى أن ننتبه إلى هذا بالفعل .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ أمور كثيرة ، كان ينبغى أن تنتبهوا إليها ، عندما أعدتمونا إلى وعينا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ عودتكم إلى وعيكم لم تكن بإراداتنا .. كان أمرًا لم نستطع فهمه ، حتى هذه اللحظة ، كما لم نستوعب بعد قدرات ذلك (الزوريوم) الحيوى ، الذى هبط على الأرض منذ ملايين السنين ، من عالم آخر ، فنى قبل حتى أن تولد حياتكم على الأرض ، وعثرنا عليه نحن قبلكم ، و ...

قاطعه (نور) فى دهشة متوترة :

ـ قبلنا ؟!

ثم استطرد بسرعة فى حماس :

ـ الآن اكتملت المنظومة ، واتضحت كل جوانب اللغز ، وفهمت ما خفى عنى من أركانه .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، دون أن ينطق بحرف واحد ، فتابع (نور) بنفس الحماس :

ـ إننا نسبح ، بكل هذا العالم فى الفضاء ، داخل ما يبدو أنه مركبة هائلة ، إلى حد استيعاب عالم كامل ، ولكنكم لستم من سكان أى كوكب آخر .. أنتم مثلنا .. من سكان الأرض .

بدا من الواضح أن حديث (نور) يحنق القائد بشدة ، فقد انقلبت سحنته على نحو عجيب ، و(نور) يكمل فى انفعال :

ـ أنتم تلك الحضارة ، التى نشأت فى أعماق الكوكب ، قبل حضارتنا بزمن طويل .. أنتم حضارة الزئبق الحى(*) .

حمل صوت القائد الأعلى كل مقته ، وهو يقول :

ـ أنت بالفعل عبقرى ، أكثر مما كنا نتصوَّر .

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وما أظنه هو أن كل هذا مجرَّد تجربة .. اختبار لقدرات حضارتنا ونظم تفكيرنا .

تألَّقت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ فى هذا أخطأت أيها العبقرى .

ثم بدأ يتحرَّك فى المكان ، ومستطردًا فى ظفر :

ـ لقد درسنا أساليبكم ونظم تفكيركم ، منذ سنوات طوال .. وربما منذ بدأت حضارتنا الحديثة بالفعل ، حتى آخر لحظة ، قبل نهاية عالمكم كله .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يردِّد بأنفاس مبهورة :

ـ نهاية عالمنا .

(*) راجع الأجزاء الثلاثة (المفقودون) ، (الزئبق الحى) ، و(الكهف) .. المغامرات أرقام (153) ، (154) ، و(155) .

www.dvd4arab.com

تألّقت عينا القائد الأعلى أكثر ، وهو يقول فى شماتة :

ــ نعم .. نهاية عالمكم يا (نور) .. قنبلتنا التى أشعلناها ، بدأت سلسلة تفاعليته مدمّرة ، بحيث أننا ، عندما غادرنا الأرض ، كنا نترك خلفنا كوكبًا يفنى ، وحضارات تباد .. وبمنتهى السرعة .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع لما يسمعه ، وغمغم فى غضب شديد :

ــ أيها الأوغـاد .

شدَّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول :

ــ كان قدرًا لابد منه .

صرخ فيه (نور) ، بكل غضب الدنيا :

ــ أى قدر هذا ، الذى تتحدَّث عنه ؟!.. هل تصوَّرتم أنكم مبعوثو العناية الآلهية ؛ وأن فناء الأرض هو مهمتكم ؟!.. هل أصاب العيش تحت الأرض عقولكم بالخبل ، حتى لم تعودوا تعرفون الصواب من الخطأ .

لوَّح القائد الأعلى بسبَّابته فى وجهه ، وهو يهتف فى غضب :

ــ لقد أسرعنا بما تقودون أنفسكم إليه فحسب .. إنكم تدمرون عالمكم بكل وسيلة ممكنة .. تخترعون أسلحة دمار ، بأكثر مما

تصنعون وسائل الرفاهية والراحة والسعادة .. وكل منكم لا يكتفى بما لديه ، ويسعى لتدمير الآخرين ؛ للاستيلاء على ما يملكون .. وسائل التدمير لديكم تتطوَّر بسرعة ، حتى صارت تهدِّد ليس حضارتكم فقط بالفناء .. بل وحضارتنا أيضًا .

صاح فيه (نور) :

ــ ولماذا لم نتعايش معًا فى سلام ؟!

صرخ القائد الأعلى فى وجهه :

ــ نحن وأنتم ؟!.. يا للهراء !.. إنكم لم تنجحوا فى التعايش سلميًا ، مع بعضكم البعض ، فكيف كنا نتوقَّع منكم أن تتعايشوا سلميًّا معنا ؟!.. إنكم تجرون تجارب أسلحة الدمار الشامل لديكم فى باطن الأرض .. فى قلب منطقتنا ، التى حاولنا أن نجعلها آمنة .

صاح (نور) :

ــ بتدميرنا .

صرخ القائد الأعلى :

ــ لم يكن هناك بديل .

وعقد حاجبيه ، على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ــ إما أنتم أو نحن .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم مال نحو (نور) بشدة ، مستطردًا :

ــ ماذا كنتم ستختارون ، لو أنكم فى موضعنا ، وتملكون أقوى مما نمتلك ؟!

ران على كليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلَّع إلى عينى الآخر ، فى تحد ، قبل أن يقول (نور) فى صرامة :

ــ وهل دمَّرتم الأرض ، لتنقذوا حضارتكم ؟!

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، وقال :

ــ لم يكن هناك من سبيل آخر .

صمت (نور) ، يستمع إليه فى اهتمام وانتباه ، والقائد الأعلى يواصل :

ــ القضاء على حضارتكم لم يكن ممكنًا ، دون تدمير حضارتنا معهـــا ، أو دون تعريضها لخطـــر هائل على الأقـــل ، وبقـــاء حضارتكم كان يعنى حتمية دمار حضارتنا ؛ لأن ما فعلتموه تحت الأرض ، جعـــل وجودنا كله مهدَّد بالخطـــر .. وعبـــر سنوات طوال ، رحنا نبحث عن كوكب يصلح لحياتنا ، حتى تنتقل إليه حضارتنا ، بعد أن صار استمرارنا فى قلب الأرض مستحيلاً ، ولقد عثرنا بالفعل على كوكب ، يبعد عن الأرض مسافة مائة سنة ضوئية ، وقررنا الانتقال إليه .

سأله (نور) فى حذر :

ــ وكيف عثرتم على كوكب كهذا ؟!.. إننا لم نرصد أية كوكب ، يمكن أن تستمر الحياة عليها ، فى هذا النطاق .

ابتسم القائد الأعلى فى سخرية ، وقال :

ــ هذا لأنكم ترصدون الفضاء ، عبر مسارات مستقيمة مباشرة ، أما نحن فنستخدم تكنولوجيا أكثر صعوبة وتعقيدًا ، جعلتنا ندرك أن الفضاء يمكن أن ينكمش للغـــاية ، لو عبرته من خلال مسار دودى ؛ لذا فالكوكب الـــذى نتحدث عنـــه ، سترصدونه أنتم ، لو استطعتم ، باعتباره يبعد عنكم ألفى سنة ضوئية على الأقل ، ولا تحاول فهم أو استيعاب هذه القواعد الفيزيائية لأنها تفوق عقولكم بآلاف السنين من التطوُّر .. على الأقل .

سأله (نور) ، فى فضول واهتمام :

ــ وماذا كانت خطواتكم التالية ؟!

أجابه بابتسامة ظافرة متشفية :

ــ عندما وصلتم إلينا ، فى باطن الأرض ، كان كل شىء معدًا للانطلاق ، وكل شىء معـــد للنقلة الحضارية ، ووصولكم غيَّر مفاهيمنا ، حول ذكاء من على السطح ، ودفعنا إلى إعادة دراسة هوية من نحتاج إليه منكم .

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت مفاجأة جديدة لـ (نور) ، الذى غمغم :

ـ من تحتاجون إليه منا ؟!

ثم رفع صوته ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ أهـذا يفسّر صنعكم لهذا العالم الوهمى ، على متن المركبة الفضائية العملاقة ، التى تنقلكم إلى العالم الجديد ، واحتفاظكم بكل من عليه من بشر ؟!.. هل كنتم تحتاجون إلى من يعاونكم ، على بناء عالمكم الجديد ؟!

قال القائد الأعلى فى سخرية :

ـ يعاوننا ؟!

ثم أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

ـ إننا لم نحتفظ بكل هؤلاء البشر ، لأننا نحتاج إلى معاونين ؛ فالواقع أن ما نحتاج إليه هناك هو ...

صمت لحظة ، مال خلالها نحو (نور) ، ثم أضاف ، فى لهجة تحمل سخرية وشماتة وظفر الدنيا كلها :

ـ عبيـد .

وانتفض جسد (نور) فى قوة ..

فما سمعه كان صدمة رهيبة ..

صدمة تفوق كل قدرته على الاحتمال ..

ألف مرة ..

على الأقل ..

* * *

عقد الرائد (هيثم) كفيه خلف ظهره ، فى ظفر وصرامة ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، قائلاً :

ـ كان ينبغى أن تعلموا أن انتصاركم علينا ، ونجاحكم فى الفرار منا مستحيل !

هتفت به (مشيرة) فى غضب ، وهى تلتصق بـ (أكرم) :

ـ المستحيل هو أن نخون وطننا ، كما تخونه أنت .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ لا تحاولى استخدام هذه الأكاذيب الصحفية معى يا سيّدة (مشيرة) ، فلقد قرأت تاريخك كله ، ولن يمكنك خداعى أبدًا .

هتفت به (سلوى) فى غضب :

ـ أنت أيضًا ، لن يمكنك خداعنا ، لا أنت ، ولا قائدك الأعلى .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت (مشيرة) فى عصبية :

ـ إنه خائن أيضًا .

أدهش قولهـا الجميع ، على الرغـم من وجودهـم داخل محبسهم ، والتفتوا إليها متسائلين ، و(هاشم) يغمغم :

ـ خائن ؟!.. يخون من ؟!.. ولحساب من ؟!

واحتضنها (أكرم) ، محاولاً تخفيف توترها ، وهو يقول :

ـ حبيبتى .. اهدأى .. هل تأثَّرت إلى هذا الحد ، بوجودك وسط رجال المقاومة .

قال (هيثم) فى صرامة :

ـ لقد غسلوا مخها ، واقنعوها بأن تمرُّدهم على السلطة الشرعية ، هو مقـاومة مشروعة .. كان ينبغى أن تسأليهم أوَّلاً يا سيدة (مشيرة) .. من يقاومون ، ولأى هدف يقاومون .

صاحت (مشيرة) فى غضب :

ـ ألم تسأل أنت نفسك ، من أنشأ هذه المقاومة ، ويغذيها من داخل الحصن .

قال (هيثم) ، فى غضب صارم :

ـ لا شأن للحصن بالمقاومة ، ولا يعرفون حتى ماذا يدور هنا .

حاولت (سلوى) بدورها تهدئتها ، ولكن (مشيرة) اندفعت تقول ، وجسدها كله ينتفض فى غضب :

ـ حقًّا ؟!.. كيف علمت المقاومة بعودة (نور) وفريقه إذن ، قبل فرارهم من هنا ؟!.. كيف حصلت على تلك الأجهزة الحديثة ، التى وجدتها هناك ، فى وكر الذئب .

انعقد حاجبا (هيثم) فى توتر ، دون أن ينطق بحرف واحد ، وإن أدار أسئلتها فى عقله ، وهى تلتفت إلى الباقين ، هاتفة :

ـ منذ البداية ، كان الذئب يؤكِّد أن له عينًا داخل الحصن ، ولقد حاولت أن أعرف من يعنى ، حتى حدث اتصال مرئى ، بينه وبين عينه فى الحصن ، لم يكن وجهه مرئيًا فى وضوح ، ولكننى تعرَّفت صوته ، وديكورات مكتبه .

سألها (رمزى) فى لهفة ، اشترك فيها الجميع :

ـ من هو يا (مشيرة) ؟!.. من ؟!

بدا (هيثم) شديد الصرامة والسخرية فى آن واحد ، وهو يسألها بدوره :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ نعم .. من هو أيتها العبقرية ؟!

التفتت إليه بمنتهى الحدة ، قائلة :

ــ آخر شخص ، يمكن أن يخطر ببالك أيها المتبجح .

واشتعلت عيناها بكل غضب الدنيا ، وهى تصرخ مضيفة :

ــ قائدك .. القائد الأعلى .. شخصيًا .

وشهق (هيثم) فى قوة ..

وشهق معه الجميع ..

فقد كانت مفاجأة ..

مذهـلة ..

* * *

لما يقرب من دقيقة أرضية كاملة ، ظلّ (نور) يحدّق فى وجه القائد الأعلى ، الـذى بدا شديد الظفر والشماتة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ــ لم تكن تتوقّع هذا .. أليس كذلك ؟!

أجابه (نور) فى جمود ، بعد فترة أخرى من الصمت :

ــ أعترف بهـذا .

ثم أضاف فى غضب :

ــ وهذا يعنى أنكم أكثر حقارة ، من كل ما تصوَّرت .

أطلق القائد الأعلى ضحكة ساخرة ظافرة عالية ، وكأنما يسعده هذا التصريح ، وقال :

ــ بل إننا عباقرة ، أكثر من كل ما تصوَّرته .

بدا غضب شديد على وجه (نور) ، فتابع القائد الأعلى فى ظفر واضح :

ــ كل ما عشتموه كان مجرَّد خدعة كبيرة ، أعددناها نحن ، بمنتهى منتهى الدقة والبراعة .. كنا نحتفظ بكم لدراستكم ، داخل حصن وهمى ، صـنعناه ليخفى مركز تشـغيل مركبتنا الفضائية العملاقة ، التى يديرها ويرعاها البشر ، متصورين أنهم يرعون عالمهم ، ويحافظون على أمنهم .. الرحلة إلى الكوكب الجديد تحتاج إلى مائتى عـام ، من السباحة فى الفضاء السرمدى .. صحيح أن متوسّط أعمارنا يفوق متوسط أعماركم بكثير ، ولكنه لن يصمد حتى نصل إلى هناك ، لذا ، فقد تم وضع شعبنا كله ، فى حالة سبات صناعى ، ليبقى حتى نصل إلى هناك .

قال (نور) فى غضب :

ــ شعبكم كله ، أم سادته فحسب ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم أجاب فى صرامة :

ــ العامة لا يستحقون استمرار العيش .

قال (نور) ممتعضًا :

ــ لذا فقد تركتموهم خلفكم .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ــ تركناهم يفنون مع قومك .

قال (نور) ، وقد امتزج غضبه باشمئزازه .

ــ وانقذتم السادة فحسب .

تجاهل القائد الأعلى عبارته تمامًا هذه المرة ، وتابع وكأنه لن يتوقَّف ، للدخول فى هذا الحوار الجانبى :

ــ السادة كلهم فى سبات ، فى أعماق المركبة ، وعشرة منا فقط ، يتولون أمر كل شىء .. يديرون هذا العالم الصناعى ، ويسيطرون على كل شىء فيه ، بمعاونة ثلاثة آلاف بشرى ، يتصوّرون أنهم يدافعون عن كياتهم هم .

والتمعت عيناه ، وهو يضيف :

ــ ولا يخطر ببال أحدهم ، أن طاقتهم هى التى تساعد المركبة على المضى فى سبيلها .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى مقت :

ــ وتركتموهم يقاتلون بعضهم البعض .

هزَّ القائد الأعلى ، قائلاً :

ــ كانوا سيتقاتلون ، سواء أدفعناهم إلى هذا ، أم لم نفعل .. إنها طبيعتكم أيها البشر .. السيطرة .. تسعون دومًا نحوها ، وترتكبون كل حقارات الدنيا للفوز بها .

قال (نور) فى حدة :

ــ وماذا عنكم ؟!

شدَّ القائد الأعلى قامته فى اعتداد ، وقال فى زهو :

ــ أنا أنشأت المقاومة .

غمغم (نور) :

ــ كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .

تابع القائد الأعلى ، دون أن يتوقَّف عند تعليقه :

ــ لو ظلوا متآلفين ، ستستقر بهم الأمور ، ويبدأون فى التفكير فى أحوالهم ، وربما .. ربما عندئذ ، يكشف أحدهم الحقيقة ، أما لو ظلوا متحاربين متقاتلين طوال الوقت ، فمن سينتبه إلى ما يحدث فعليًا ، فى خضم القتال والكراهية والعنف وإراقة الدم ؟!.. من ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

قال (نور) فى مرارة :

ـ وكلهم تبعوك ؟!

ابتسم ، مجيبًا فى ظفر :

ـ كلهم بلا اسـتثناء .. كل مهمتى كـانت إذكاء نيران الحقد بينهم ، واشعال رغبـة التفـوق والسيطرة فى نفوسهم .. بذا يبقون منشغلين طوال الوقت .

ثم التقط نفسًا بالغ العمق ، قبل أن يستطرد :

ـ ونبقى نحن .

بدا (نور) شديد المرارة ، وهو يقول :

ـ فرّق تسد .. أسلوب الاستعمار منذ الأزل .

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، قائلاً :

ـ وسيبقى إلى الأبد .. الكل يعرفه ، والكل تعلّمه ، ولا أحد احتاط منه أو تحاشاه .

وعاد يميل نحوه ، مستطردًا ، وعيناه تلتمعان بكل الظفر :

ـ هذه سيمتكم أيها البشر .

قال (نور) فى غضب :

ـ وما سيمتكم أنتمْ ، يا شياطين الأرض ؟!.. الحقارة ؟!

تراجع مبتسمًا فى سخرية ، وهو يقول :

ـ شياطين الأرض ؟!.. تروق لى التسمية كثيرًا ، وما دمت قد أطلقتها ، فدعنى أقدّم لك باقى فريقنا .. فريق الشياطين .

لم يكد ينهى عبارته ، حتى تألّقت أجزاء أخرى من الفراغ حول (نور) ، ثم برز باقى الفريق ..

فريق المحتلين العشرة ، الذين يقـودون ذلك العـالم الوهمى الرهيب ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ..

فالحقيقة التى رآها أمامه ، كانت مفزعة ..

ومرعبة ..

إلى أقصى الحدود ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

12 ـ الـوحـوش ..

لم يكن أفـراد الفريق ، أو (هاشـم) وحدهم من أصيب بالذهول ، لما صرَّحت به (مشيرة) ، فقـد شاركهم (هيثم) ذهولهم ، مع عاصفة من الغضب والاستنكار ، وهو يصرخ :

ـ هل بلغت بك الوقاحة هذا الحد ؟!.. بل هل بلغ بك الجنون ، حد اتهام القائد الأعلى بأنه يخون الحصن ، الذى يمثل رمز قوته وسطوته ؟!.. أى منطق يمكن أن يكمن فى هذا ؟!

قال (رمزى) فى توتر صارم :

ـ لو أننى فى موضعك ، لما استنكرت الأمر ورفضته بهذه السرعة ، فقائدكم الأعلى محاط بالكثير من الشكوك .

صرخ فيه (هيثم) ، وهو يصوِّب إليه مسدسه :

ـ هل صدّقت جنون هذه الوقحة المجنونة ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، فى غضب هادر ، وهو يزيح (مشيرة) ، ليحميها بجسده ، مواجهًا (هيثم) فى قوة :

ـ حذار من ترديد بذاءاتك هـذه يا رجل ، ولا تتصوَّر أن أسلحتك أو أسلحة رجالك ، قد تكفى لكبحى ، عندما أنقضّ عليك لأؤدِّبك ، على إساءتك لزوجتى .

صرخ (هيثم) ، بكل انفعالاته :

ـ ألم تسمع ما قالته يا هذا ؟!

أجابه (هاشم) فى خشونة :

ـ ألم تسأل أنت نفسك ، من يحكم (مصر) الآن ؟!

صرخ فيه :

ـ لا شأن لهذا بما قالته ؟!

قالت (سلوى) ، وهى تلهث فى انفعال :

ـ بل هو تساؤل وثيق الصلة بكل ما يحدث ؛ فالمفترض أن المخابرات ، أيًّا كانت ماهيتها ، هى جهـة معلومات ، ومهمتها هى الحفاظ على أمن وأسرار البلاد ، والزود عنها ، ضد كل من يحاول المساس بها ، وهى دومًا تتبع رئيس الجمهورية ، فمن الرئيس الذى تتبعه ، فى هذا الزمن ؟!

على الرغم مـن تمسُّكه بنظراته الصارمة ، ظهرت علامات الحيرة على وجه (هيثم) وهو يقول فى حدة ، اصطنعها ليخفى توتره الشديد :

ـ هذا ليس شأننا .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت (نشوى) فى صرامة :

ـ بل هو شأن كل مواطن ، يحيا على أرض (مصر) .. هيا .. أخبرنا يا رجل .. من رئيس دولتك ؟!..

لم تقو حيرة (هيثم) على التوارى خلف صرامته وحدته هذه المرة ، فحفرت نفسها فى وضوح على وجهه ، وانتقلت حيرته إلى رجـاله ، وبدت واضـحة فى ارتعاشة أيديهم ، التى تحمل أسلحتهم ، والتى لم تعد تصوّبها إلى الرفاق بنفس الصرامة والتحفز ، فأضاف (أكرم) ، وهو يشد قامته فى قوة ، وكأنه هو الذى يسيطر على كل الأمور :

ـ دعنى أطوّر السؤال إلى : ما الذى تعرفونه حقًا ، عما يدور خارج هذه الأطلال ؟!

قال (هيثم) ، فى ارتباك ملحوظ :

ـ إننا نراقب الأطلال طوال الوقت .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ لم يكن هذا سؤالى .

وأضاف (هاشم) ، قائلا :

ـ إنكم لا تذكرون حتى ، متى ولا كيف حدثت تلك الكارثة ، التى قادت عالمنا إلى كل هذا .

واتسعت عينا (هيثم) فى شدة ..

نعم ... كل ما يقولونه صحيح ..

إنهم جميعًا ، داخل أسوار الحصن ، لا يعلمون شيئًا ..

منذ وعت عيونهم الدنيا ، والحصن هو كل ما يعرفون ..

لقد نموا ونشأوا داخله ..

ولم يعرفوا سواه ..

القائد الأعلى لم يمنحهم أية فرصة ، لمعرفة أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

وحده كان يعلم كل شىء ..

هم كانوا فقط ينفذون أوامره ..

دون مناقشة ..

ودون حتى محاولة فهم ..

« لا ... » ..

انتفض جسده فى قوة ، وهو يطلق الصرخة ، ثم رفع مسدسه ، يصوّبه نحو (أكرم) ، صارخًا :

ـ إنهم يحاولون إرباكنا .. أطلقوا النار يا رجال

Looloo
www.looloo-arabic.com

وفى تلك المساحة الضيقة ، دوت الطلقات الترددية ..

بمنتهى العنف ..

* * *

مشهد رهيب بالفعل ، ذلك الذى أحاط بـ (نور) ..

مشهد أشبه بأعنف أفلام الرعب ..

أو هو رعب حى ..

رعب من أعماق الأرض ..

الرجال العشرة ، الذين يحيطون به ، كانت لهم هيئة عجيبة ، تتناسب مع حياتهم ، التى يقضونها فى باطن الأرض ..

وجوه زرقاء شاحبة ..

عيون حمراء واسعة ..

ملامح قاسية متغضنة ..

أنياب حادة رفيعة ..

لم تكن ملامحهم تحمل أية انفعالات ، وهم يحيطون بـ (نور) ، فى دائرة تضيق تدريجيًا ، مع ابتسامة القائد الأعلى الظافرة ...

ولكن (نور) تماسك تمامًا ، وهو يقول :

ـ أنت تشبههم .. أليس كذلك ؟!

هزَّ القائد الأعلى كتفيه ، مجيبًا ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ـ إنهم قومى .

تساءل (نور) فى سخرية :

ـ الأوغـاد ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ سخرية عجيبة ، لشخص مقدم على الموت .

مال (نور) نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ وهل تتصوَّر أننى أخشاه .. لقد دمَّرتم كوكبى ، وقضيتم على كل أمل لنا فى النجاة ، وتحملوننا معكم إلى كوكب جديد ، يبعد مائة سـنة ضوئية ، بمقاييس تكنولوجيتكم ، فـأى هدف يدعونى للتشبث بالحياة ، بعد كل هذا ؟!

بدا توتر ملحوظ ، على وجه القائد الأعلى ، الذى شدَّ قامته أكثر ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ الفضول .

تراجع (نور) فى دهشة متسائلة ، فتابع هو بنفس الصرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أسئلة عديدة ، مازالت ترغب فى معرفة أجوبتها ، قبل أن تموت .. شخصيتك المتلهفة دومًا إلى المعرفة ، ستدعوك إلى هذا ، وستمثل هدفًا يدعوك إلى التشبث بالحياة .

سأله (نور) فى حذر :

ـ أسئلة مثل ماذا ؟!

أجابه ، فى شىء من الشعور بالتفوّق :

ـ لماذا احتجنا إليكم بالفعل ، ومن أين أتى (طارق) ، ولماذا احتفظنا بكم منذ البداية ، ولم نحاول التخلص منكم ، قبل عودتكم إلى وعيكم ؟!

صمت (نور) لحظات ، ثم عقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ كلى آذان مصغية .

كانت الدائرة الجهنمية تزداد ضيقًا حوله ، ولكنه بدا شديد الاهتمام والانتباه ، على نحو جعل القائد الأعلى يقول فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ أنت قلتها .. شغف المعرفة .

ابتسم فى ظفر ، وهو يقول :

ـ ربما لن يكفيك الوقت ، لتعرف كل شىء ، فما الذى ترغب فى معرفته أوّلاً ؟!

أجاب (نور) ، فى اهتمام واقتضاب :

ـ (طارق) .

أجابه فى سرعة :

ـ ابنتك كانت تحمله بالفعل ، عندما بدأتم هذه المغامرة ، وعندما فقدتم وعيكم فى الكهف ، وقررنا تجميدكم ، كشف علماؤنا هذا ، فاستخرجنا الجنين من رحمها ، وقمنا بإكمال فترة حضانته صناعيًا ، وكانت فرصة ممتازة ؛ لدراسة تطوّركم الجنينى خطوة بخطوة ، أما احتفاظنا بكم ، فكان أيضًا لأغراض علمية .. كنا ننتظر وصول المركبة إلى هدفها ، حتى نستخلص جيناتكم ، ونحاول مزج عبقرياتكم بسمات الجيل القادم منا .

قال (نور) فى سخرية :

ـ جيل الأوغاد العباقرة .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى غضب ، وقال :

ـ هذا يقودنا إلى السؤال الأخير ، الذى ستدرك معه من المنتصر الحقيقى فى هذه المعركة .

www.dvd4arab.com

قال (نور) ، فى حذر مترقب :

ـ قلت إنكم قد احتفظتم بالبشر كعبيد .

قال القائد الأعلى :

ـ كان هذا هو الغرض الثانى .

سأله فى قلق شديد :

ـ وماذا عن الغرض الأول ؟!

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة متشفية ، مجيبًا :

ـ الكوكب الذى ستصل إليه مركبتنا ، فى نهاية رحلتنا ، كوكب يصلح لحياة البشر ، ولكن الحياة لم تنشأ عليه بعد ، وهذا يعنى أن السادة ، عندما يصلون إليه ، سيكون بحاجة إلى مصدر لـ ...

بتر عبارته ، واتسعت ابتسامته المتشفية ، وبدت وحشية أكثر من ذى قبل ، وهو يميل نحو (نور) ، مستطردًا :

ـ الغذاء .

سرت فى جسد (نور) ارتجافة باردة كالثلج ، وهو يردِّد فى فـزع :

ـ غـذاء ؟!

اعتدل القائد الأعلى ظافرًا ، وهو يقول :

ـ تمامًا كما سيحدث لك الآن .. إننا لن نقتلك .. بل سنلتهمك .

والتمعت عيناه على نحو مخيف ، وهو يبرز أنيابًا تشبه أنيابهم ، مضيفًا بكل الوحشية :

ـ حيًّا .

أدار (نـور) عينيه فى وجوههم الشاحبة المخيفة ، ورآهم يبرزون أنيابهم ويتجهون نحوه فى تحفُّز ..

ورأى وجه القائد الأعلى يتموَّج ، ويفقـد ملامحه البشرية ، الشبيهة بملامح الرائد (أيمن) ، ويستعيد هيئته الحقيقية الشبيهة بباقى فريقه ..

الوجه الشاحب الأزرق ، والعينات الواسعتان الحمراوان ، وتلك الأنياب الحادة ، التى تخيلَّها (نور) تنغرس فى أجساد رفاقه وبنى قومه ، فهتف فجأة فى صرامة ، تتعارض مع موقفه :

ـ المشكلة أنكم نسيتم عاملاً مهمًّا .

ازدادوا اقترابًا منه ، والقائد الأعلى يقول فى سخرية :

ـ ما هو أيها العبقرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

وبتجاوز لكل قواعد المنطق ، بدا (نور) قويًا صلبًا ، وهو يجيب :

ـ (محمـود) .

في نفس اللحظة التى نطقها فيها ، صدر ذلك الدوى العنيف ، وتحطّمت تلك الأرضية اللامعة المصقولة فى قوة ..

ووثب عبرها ذلك الجسد الزوريومى الخارق ..

جسد (محمود) ..

وتراجع أصحاب الوجوه الشاحبة فى ذعر :

فقد كانت هذه المفاجأة تعنى أن الأمور كلها ستنقلب رأسًا على عقب .

وبمنتهى القوة ..

* * *

سلاح (هيثم) كان مصوّبًا نحو (أكرم) مباشرة ، وطاقة الغضب فى أعماقه لم تكن لتمنعه من إطلاق النار ، ولو لجزء من الثانية ..

لذا ، فقد أطلق النار ..

نحو الهدف مباشرة ..

ولكن فى اللحظة نفسها ، وثب (هاشم) ، صارخًا :

ـ لا .. ليس (أكرم) .

جاءت وثبته فى توقيت مدهش ، جعل جسده يعترض طريق تلك الطلقة التردُّدية ، التى أصابته فى صدره ، ودفعته إلى الخلف فى قوة ، فارتطم بـ (أكرم) ، الذى ارتطم بـ (مشيرة) بدوره ، وسقط ثلاثتهم أرضًا ، و(نشوى) تطلق شهقة رعب ، و(سلوى) تصرخ :

ـ خـونة .

أما (رمزى) ، فقـد اندفع نحو (هيثم) فى غضب ، فأدار هذا الأخير مسدسه التردى نحوه ، و ...

وفجأة ، ارتجّ المكان كله فى عنف ..

وطاشت طلقة (هيثم) الثانية ، وارتطمت بالجدار ، لتصنع ارتجاجة ثانية عنيفة ، لم توقفه ، أو توقف (رمزى) ، الذى انقض عليه ، صارخًا :

ـ دمنا ليس رخيصًا أيها الوغد .

وربما كان (رمزى) محللاً نفسيًا عبقريًا ، ولكنه لم يكن أبدًا مقاتلاً قويًا أو محترفًا ..

Looloo www.Looloo.com

لذا ، فقـد استقبله (هيثم) بلكمة قوية ألقته أرضًا ، قبل أن يصوِّب إليه مسدسه ، صارخًا ، كمن فقد عقله من شدة توتره :

ـ بل رخيص .. ربما أكثر مما تتصوَّرون .

دفع (أكرم) جسد (هاشم) جانبًا ، ووثب محاولاً إنقاذ رفيقه ..

وكانت انقضاضته مفاجئة بحق ..

رجال (هيثم) انقضوا عليه ، وكبلوا حركته فى قوة ، وأحدهم يهتف فى عصبية شديدة :

ـ لا يا سيِّدى .. ليس فريق (نور) .

سيطروا عليه فى لحظة واحدة ، وانتزع أحدهم مسدسه التردُّدى فى صرامة ، قائلاً :

ـ التاريخ أكَّد أنه من المفيد أن نستمع إليهم .

قاومهم (هيثم) فى شراسة ، صارخًا :

ـ إنهم يحاولون تشكيكنا فى قائدنا .. يحاولون خداعنا .

أجابه آخر فى صرامة :

ـ التاريخ يقول : إن ما يتوصلون إليه دومًا هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها .

وأضاف زميله :

ـ وحديثهم جعلنا نتساءل : من يخدعنا بالضبط ؟!

خفَّت مقاومته كثيرًا ، عند هذه العبارة الأخيرة ، وغمغم فى انكسار مباغت عجيب :

ـ ربما .. ربما كانوا على حق .

تركه (أكـرم) فى هذه اللحظة ، وعاد إلى (هاشم) يحاول انعاشه ، ولكن هذا الأخير فتح عينيه فى صعوبة ، وحاول أن يبتسم ، على الرغم من كل ما يشعر به من آلام ، وهو يغمغم :

ـ مثلى الأعلى .. أأنت بخير ؟!

حمل (أكرم) كتفيه ، وهو يقول فى تأثُّر شديد :

ـ أنا بخير .. ماذا عنك ؟!

تنهَّد (هاشم) فى ارتياح ، وهو يغمغم :

ـ حمدًا لله .

أغلق عينيه لحظة ، ثم عاد يفتحهما ، وغمز بإحداهما ، قائلاً بابتسامة واهنة متراجعة :

ـ يبدو أننا قد بدأنا طريق النصر يا رجل .

Looloo
www.dvd4arab.com

قال (أكرم) فى أسى :

ــ وستحيا بإذن الله ، لتشهد نهايته يا صديقى .

تهلّلت أسارير (هاشم) فى ضعف ، وهو يقول :

ــ صديقك ؟!.. بالنسبة لى ، هذه لحظة النصر ، التى لم أحلم بأعظم منها يا .. يا صديقى .

قالها ، وتراجع رأسه ، دون أن يفقد ابتسامته ، وفقد جسده كل أثر للحياة ، وتراخى بين ذراعى (أكرم) ، الذى قاوم دموعه فى صعوبة ، وهو يقول :

ــ ارقد فى سلام يا صديقى ، وأعدك أن يأتيك النصر ، قبل أن يبرد جسدك الطاهر .

كان المكان يغرق فى صمت مهيب ، والكل بلا استثناء ، يتطلعون إلى (أكرم) فى تأثُّر وحزن ، وهو يُرقد صديقه فى حرص شديد ، حتى استقر جسده أرضًا ، فمد يده يغلق عينيه فى خشوع ، ثم التفت إلى (هيثم) ، الذى يمسك به رفاقه ، وصرخ :

ــ أيها الوغد .

قفز من مكانه بكل غضبه ؛ لينقض على (هيثم) ، فصرخ هذا الأخير بدوره ، محاولاً حماية نفسه :

ــ لم أكن أقصد هذا .. أقسم لك .

ووثب (رمزى) يمسك معصم (أكرم) ، هاتفًا :

ــ رويدك يا (أكرم) .. إنه لم يقصد هذا فعليًا .

صرخ فيه (أكرم) :

ــ ولكنه قتل صديقى .

صاح به (رمزى) فى صرامة :

ــ وما الذى سيجعلك تختلف عنه ، إذا ما تركت لغضبك العنان دون تدبير ؟!.. أى مثل سنضربه لهم ، لو أننا فقدنا بصيرتنا مع غضبنا ، كما يفعل أى أحمق ؟!

التفت إليه (أكرم) فى حدة ، فنظر فى عينيه مباشرة ، مكملاً :

ــ الله (سبحانه وتعالى) لا يفعل شيئًا عبثًا يا صديقى .. عودتنا إلى وعينا هنا ، كان لحكمة بالغة .. إنها مسئولية يا رجل .. مسئوليتنا أمام مستقبلنا .. أمام مستقبل عالمنا كله .

كانت عينا (أكرم) تشتعلان بكل الغضب ، الذى تموج به أعماقه ، ولكن كلمات (رمزى) جعلته يدير الأمور فى رأسه ، قبل أن يقول فى عصبية حاول كبحها :

ــ لقد وعدت (هاشم) .

Looloo
www.dvd4arab.com

تقدّم أحد رجال (هيثم) إليه ، ووقف أمامه وقفة عسكرية ثابتة ، ثم رفع يده بالتحية العسكرية ، قائلاً :

ــ سيِّد (أكرم) .. نحن نحتاج إلى قائد .. حاليًا .

نطقها ، ثم رفع يده إلى (أكرم) بمسدس تردُّدى ، فقال (أكرم) فى عصبية :

ــ لن يصلح هذا .

هتفت به (مشيرة) :

ــ أنت أفضل من يقودهم يا (أكرم) ، فى ظل هذه الظروف .

وأضافت (نشوى) مغمغمة :

ــ حتى عودة أبى .

أضافت (سلوى) :

ــ بإذن الله .

هزَّ (أكرم) رأسه ، وهو يقول فى توتر :

ــ قلت لن يصلح هذا .

سأله (رمزى) فى قلق :

ــ ولمـــاذا ؟!

كتم (أكرم) تأثُّره ، وهو يقول فى عصبية :

ــ إننى أفضّل مسدسى التقليدى .

فهم الرجال ما يعنيه هذا ، فخفض (هيثم) رأسه فى انكسار ، فى حين اتخذ رجاله وقفتهم العسكرية ، وأدوا التحية فى قوة للقائد الجديد ..

لـ (أكرم) ..

ولكن فى اللحظة نفسها ، التى أدوا فيها التحية ، أرتجّ المكان مرة ثانية ..

وبعنف أكثر ..

وفى صعوبة ، منع الجميع أنفسهم من السقوط ، وهتف (أكرم) فى عصبية شديدة :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟!

وكان هذا هو السؤال ، الذى يدور فى أذهان وقلوب الجميع ..

ماذا يحدث ؟!..

مـــاذا ؟!

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

13 - الأمل الأخير ..

ظهور (محمود) المفاجئ قلب الأمور كلها بحق .. وبمنتهى العنف ، وجعل أولئك الوحوش يتراجعون بحركة حادة ، والقائد الأعلى بملامحه الجديدة يهتف فى ذهول :

ـ مستحيل !..

وقف (محمود) يدير عينيه فى وجوههم القبيحة فى تحد ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ أعلم أنك سجنته فى تابوت من الرصاص السميك ، ودفنته فى أعماق مركبتكم ، وتصوَّرت أن هذا سيعزله تمامًا ، عن أى مصدر للطاقة ، وهذا صحيح من الناحية الفيزيائية ، ولكن هناك طاقة واحدة ، لا تستطيع أية مادة فى الوجود كبحها ، ومنع انطلاقها .

ومال إلى الأمام ، وهو يشير إلى رأسه ، مضيفًا :

ـ طاقة العقل .

أكمل (محمود) فى صرامة :

ـ (الزوريوم) منح عقلى انطلاقة جبارة ، مكنتنى من

الاتصال بعقل (نور) ، قبل أن يخترق ذلك الحاجز ، الذى توحى صورته الهولوجرامية بامتداد الصحراء الجبلية إلى ما لا نهاية ، فى حين أنه يقود إلى أعماق مركبتكم الفضائية العملاقة ، التى تحمل على متنها عالمًا وهميًّا كاملاً :

غمغم (نور) :

ـ لا ريب فى أنها مركبة بحجم مدينة كاملة .

نقل القائد الأعلى بصره بينهما لحظات فى عصبية ، ثم قال ، وهو يستعيد ثقته ، بعد زوال أثر المفاجأة :

ـ إنها كذلك .. مركبة بحجم نصف قاهرتكم تقريبًا ، ولهذا كان علينا أن نفجِّر قنبلتنا ، حتى يتسنى لها الصعود من قلب الأرض إلى الفضاء ، والجميع منشغلون بالدمار الناشئ .

قال (محمود) فى صرامة قاسية :

ـ الدمار هو مصيركم أنتم يا رجل .

ثم أردف فى تحد :

ـ هل تذكر تلـك الصـورة المخيفة ، التى انتزعتموها مـن عقلى ، عند عودتى من نهر الزمن ؟!..

www.dvd4arab.com

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يتراجع بحركة حادة ..

نعم .. إنه يذكر ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد المركبة العملاقة ، بكل العالم الذى تحويه ، والنيران تشتعل فيها ، وهى تهوى فى قلب نجم هائل ، يفوق حجمه حجم شمسنا ألف مرة ..

صورة جعلته يصرخ مرتجفًا :

ــ لا .. لن يكون هذا مصير السادة .

ثم رفع يديه نحو (محمود) ، صارخًا :

ــ لقد نسيت أننى أفوقك قوة .

كان يتوقَّع أن تنطلق الطاقة من راحتيه ، لتضرب (نور) و(محمود) فى عنف ، ولكن الأوَّل قال :

ــ معذرة أيها الوغد ، ولكن حوارنا العقلى ، (محمود) وأنا ، جعلنا نعلم الكثير عنكم .

أكمل (محمود) :

ــ (نور) استنتج الموقف ، قبل عبوره ذلك الحاجز ، وأخبر (أكرم) عن اتصالى العقلى به ، وعن أنه طلب منى استخدام قدراتى

العقلية ، لتحفيز المحرِّك الرئيسى للمركبة ، وهذا ما صنع تلك الاهتزازات ، التى عجزتم عن فهما ، والتى أمدَّتنى بطاقة خافية ؛ لاختراق ذلك التـابوت الرصاصى ، وعندئذ ، عدت أغوص فى نظامكم الرقمى مرة أخرى .

جاء دور (نور) ، ليقول :

ــ وعندئذ كشف أنك وحدك ، من دون رفاقك ، من يمتلك هذه القوة الفائقة ، والتى تزوِّدك بها بطارية طاقة خاصة ، ترتبط بالزى الذى ترتديه .

هزَّ (محمود) كتفيه ، قائلاً :

ــ وببساطة ، أوقفها .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، وهو يتراجع نحو أجهزة المركبة الرئيسية ، قائلاً :

ــ إذن فلنتفق .. سنتعايش سلميًّا ، جنبًا إلى جنب ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ــ ومن يأمن شركم ؟!

تراجع القائد الأعلى بضع خطوات أخرى ، وهو يقول :

ــ سأمنحكم الضمانات اللازمة ، و ...

www.dvd4arab.com

وفجأة ، بتر عبارته ، ووثب نحـو أحـد أجهزة المركبة ، وحاول دفع ذراع قصيرة فى إحداها ، و ...

وتحرّك (محمود) بسرعة خرافية ..

وثب وثبة هائلة ، اسقطته بين القائد الأعلى وذلك الجهاز ، وقال فى صرامة وغضب :

ــ أرأيت كم أنت حقير ؟!

ثم هوى بقبضته على ذلك الجهاز فى قوة ، فصرخ الوحوش العشرة فى آن واحد ..

ــ لا ... ليس هذا .

ولكن قبضة (محمود) سبقتهم ، وهوت على الجهاز بكل قوته ..

ودوى الانفجار ..

انفجار محدود ، كان له دوى يفوق حجمه ، ولكنه أسقط الجميع أرضًا ، ولكن الوحوش نهضوا فى سرعة ، والقائد الأعلى يصرخ فى انهيار ..

ــ لماذا ؟!.. لماذا ؟!.. الذراع لم تكن لتؤذيكم .. كانت فقط ستفضل المركبـة الإضافية ، التى تضـم أجساد السادة ، حتى تواصل رحلتهـا إلى الكوكب البديل بدونكم ، وعنـدما حطمت الجهاز كله ، قطعت عنهم سـبل الإعاشة ، ولن يستيقظوا الآن من سباتهم الصناعى العميق أبدًا .

انهار أرضًا على ركبتيه ، فى حين تجمّد باقى الوحوش تمامًا ، كما لو أن ما حدث قد أصابهم بصدمة رهيبة ، وتابع القائد الأعلى ، فى انهيار تام :

ــ لقد قضيت على حضارتنا كلها .. قضيت على الحضارة التى أعادتك إلى الحياة .. والحضارة التى تضمن لك الاستمرار فيها .

ثم شمله غضب عصبى ، وهو يشير إليه ، صارخًا :

ــ بدون هذا الجهاز ، لـن يستمر (الزوريوم) على حيويته ، وسينهار جسدك هذا ، خلال مائة ساعة على الأكثر .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ــ قلت بنفسك أنكم لم تتوصّلوا إلى كل سمات (الزوريوم) الحيوى بعد .

قال (محمود) فى توتر :

ــ لا بأس يا (نور) .. سيكون هذا مصيرًا عادلاً .. لقد أفنيت للتو حضارة كاملة ، وأبدت بقايا شعب بأكمله .

نهض القائد الأعلى ــ يقول فى انفعال :

ــ بل أفنيت عالمين يا هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

تطلّع إليه (نور) و(محمود) فى توتر ، فأكمل فى شىء من التحدى والصرامة والتشفى :

ـ توقُّف الأجهزة ، سيعنى خلل نظم التوجيه فى المركبة ، وسيضيع مسارها فى الفضاء ، وربما تحوّل المشهد ، الذى أتيت به من نهر الزمن ، إلى حقيقة مفزعة ، بعد أن صار عالمكم كله ضائعًا فى الفضاء ، مع إعاشة تكفيه لأسبوعين ، على أقصى تقدير .

قال (نور) فى توتر شديد :

ـ هناك حتمًا سبيل لمنع هذا .

بدا القائد الأعلى هادئًا أكثر مما ينبغى ، وهو يقول ، وكأنه يُحدّث نفسه :

ـ كل ما يمكن أن تبلغه عقولكم ، لن يكفى لفهم لمحة واحدة من تكنولوجيتنا ، وما تبقى لكم مـن وقت لن يكفى حتمًا لفهم خيوطها الأولى ، فهى تسبق تكنولوجيتكم بعدة آلاف من السنين .

قال (محمود) فى صرامة ، مشيرًا إليه :

ـ وماذا عنكم ؟!.. لو فنى هذا العالم ستفنون معه .

اقترب الوحوش كلهم من القائد الأعلى ، والتفوا حوله ، وهو يبدو أكثر شرودًا ، ويقول :

ـ لقد فشلت مهمتنا ، ولم تنجح فى الحفاظ على السادة ، وهذا يعنى ضرورة أن نفنى أيضًا .

ثم خفض بصره إلى (نور) و(محمود) ، مضيفًا فى هدوء عجيب :

ـ ولو أردتم نصيحتى ، فأفضل ما تفعلونه هو أن تنضموا إلى الباقين .

التصق به الكل ، وهو يقول مكملاً :

ـ فى العدم .

تألّقت أجسادهم على نحو عجيب ، و(نور) يهتف :

ـ أى عدم تعنى يا رجل ؟!

وثب (محمود) نحو (نور) فى هذه اللحظة ، صارخًا :

ـ احترس يا (نور) .

ومع صرخته ، دوى الانفجار الثانى ..

وتحطم جزء من الجدار الشفاف السميك فى عنف ، وأعقبه صوت رهيب ، وفراغ الفضاء يشفط كل ما داخل المركبة إلى الفضاء السرمدى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

بمنتهى القوة ..

ومنتهى العنف ..

ومنتهى السرعة ..

* * *

مع ذلك الانفجار الثانى ، بدا للجميع أن هناك أمر غير مألوف يحدث .. أمر جعل (نشوى) تقول :

ـ أحرب تنشأ ، أم قتال يدور .

هتفت (سلوى) :

ـ هناك خلل ما حدث .. لقد شعرت به .

هتف (رمزى) :

ـ وأنا أيضًا .

تلفَّت (أكرم) حوله فى عصبية ، وهو يقول :

ـ ربما كانت محاولة لإنقاذنا .

قال (هيثم) متوترًا :

ـ لا .. هذا أمر لايمكن أن يحدث منطقيًا .. الحصن لا يمكن أن يرتج على هذا النحو ، إلا بأمر جلل .

سألته (مشيرة) مرتجفة :

ـ مثل ماذا ؟!

هزَّ رأسه فى حيرة ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

تردَّدت (مشيرة) لحظة ، ثم قالت فى خفوت :

ـ ربما حدث شىء هناك .

التفتوا إليها متسائلين ، فتابعت فى تردُّد أكثر ، وهى تنكمش فى جسد (أكرم) ، محتمية به :

ـ فى ذلك المكان ، الذى أرسلوا إليه الدُّب .

سألها (رمزى) فى قلق :

ـ أى مكان هذا ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تقول ، وكأنها تستعيد لحظات رهيبة :

ـ ذلك المكان ، الذى لا يحوى شيئًا .. الظلام الرهيب ، الذى يثير فى نفسك ألف رعب ورعب ، بمجرَّد النظر إليه .

أمسك (أكرم) كتفيها ، وهو يسألها فى توتر بالغ :

ـ أى مكان رهيب تصفين يا (مشيرة) ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أتاه الجواب من مدخل المكان :

ـ العـدم .

التفت الجميع إلى مصدر القول فى لهفة ، وهتفت (سلوى) فى فرحة :

ـ (نور) .

اندفعت نحوه تعانقه ، فأحاطها بذراعيه ، وطبع قبلة على جبينها ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (محمود) من خلفه ، وهو يقول فى توتر :

ـ إننا نواجه خطرًا رهيبًا .

سأله (هيثم) منفعلاً :

ـ أين القائد الأعلى ؟!

أجابه (نور) ، وهو يضمّ (سلوى) إليه :

ـ لقد فنى مع فريقه ، وعرضونا كلنا لخطر مخيف ، فى مركبتهم الفضائية هذه ، ولولا قدرات (محمود) الخارقة التى يغذّيها ذلك (الزوريوم) الحيوى ، والتى مكنتنا من عبور (كوباء) فى اللحظة الأخيرة ، لفنينا معهم .

تفجَّر الذهول فى قلوب ووجوه الجميع ، وارتجف صوت (نشوى) ، وهى تردّد :

ـ مركبة فضائية ؟!

أشار إليها (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ سأشرح لكم كـل شىء باختصار ، فى حين يقوم (هيثم) باستدعاء جميع الموجودين فى الحصن ؛ فلابد وأن نتعاون جميعًا ، وبأسرع وسيلة ممكنة ، فقد يمكننا بهذا إنقاذ عالمنا الوحيد المتبقى من الفناء .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهتف (هيثم) فى صوت مبحوح ، من شدة الخوف .

ـ ما الذى تعنيه بكل هذه الغوامض المفزعة أيها الأسطورة .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ ستعرف كل شىء ، بعـد أن يجتمع الكـل يا (هيثم) .. ستعرفون جميعًا كل شىء ..

كان الأمر صدمة للجميع بالفعل ، عندما اجتمعوا فى ساحة الحصن ، وشرح لهم (نور) ذلك الموقف الرهيب ، الذى يهدم عالمهم ، ويحطم معتقداتهم كلها دفعة واحدة ، وينذرهم بأن آخر من تبقى من الجنس البشرى ، فى طريقه إلى نهاية واحدة ..

الفنـاء ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وعندما انتهى من الشرح ، ساد المكان صمت رهيب ..

صمت ملئوه الفزع ..

والهلع ..

والمرارة ..

واليأس ..

صمت دام ، حتى قطعه صوت أحد العلماء ، وهو يقول : فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ أين الدكتور (راشد) ؟! لماذا اختفى عندما كنا فى أمس الحاجة لقيادته العلمية وفكره المستنير ؟!.. لماذا ؟!

برز (محمود) فى هذه اللحظة ، وجسده يتألّق على نحو خافت ، وهو يقول فى جمود :

ـ أظننى أعلم أين هو .. وأين الباقين أيضًا .. لقد توغّلت فى النظام الرقمى الفائق لهم ، بحثًا عن أية وسيلة لتفادى نهاية العالم ، وعلمت الكثير .. الكثير جدًا .

هتف به أحد العلماء فى لهفة وأمل :

ـ وهل عثرت على وسيلة ما ، لإنقاذنا من هذا المصير البشع ؟

صمت (محمود) لحظات ، ثم قال فى أسى :

ـ لقد كان ذلك الوغد على حق فى كل ما قاله .. لا توجد أية وسيلة لتفادى هـذا .. إنها النهاية أيها السادة .. نهاية هذا العالم .. ونهاية البشر .

وكانت الصدمة أكثر هولاً من أن توصف ..

ألف .. ألف .. ألف مرة ..

* * *

جمود رهيب ، ذلك الذى أصاب أفراد الفريق ، وهم يجلسون معًا ، فيما كان سابقًا حجرة القائد الأعلى ..

جمود جعلهم يحدقون جميعًا فى الفراغ ، دون أن ينطق أحدهم بحرف واحد .. إنهم لا ينتظرون نهايتهم فحسب ..

بل نهاية العالم ..

ونهاية البشرية ..

نهاية آخر فرد منها ..

ولقد كان (أكرم) أوّل من قطع ذلك الصمت الرهيب ، قائلاً :

ـ كنت أعلم أنه هناك نهاية حتمية لهذا التطوّر التكنولوجى اللعين ، ولكننى لم أتصوَّرها قط على هذا النحو .

Looloo
www.dvd4arab.com

هزَّت (نشوى) رأسها فى مرارة ، قائلة :

ــ ولم أتصوَّر أبدًا أن تأتى نهاية البشرية ، على مسافة سنوات ضوئية عديدة من الأرض .

غمغم (نور) :

ــ البشرية لن تنتهى .. مازال ابنى وحفيدىَّ هناك ، آمنين فى العدم ، الذى لن يتسع للجميع للأسف .

قال (رمزى) فى ألم :

ــ وهـل تتصوَّر أنهم محظوظون بوجودهم هناك ؟!.. إنه مصير أبشع مما سنواجهه نحن هنا يا (نور) .

قال (نور) فى حزم :

ــ ولكنه يضم الأمل يا صديقى .. الأمل فى أن يكونوا يومًا السبيل الوحيد ؛ لاستمرار البشرية .

قالت (سلوى) فى جمود ، يشفّ عن صدمتها :

ــ وكيف سيحدث هذا دون نساء ؟!.. ألا يحتاج استمرار البشرية إلى ذكر وأنثى على الأقل ؟!

قال (محمود) مترددًا :

ــ لدىَّ طاقة تكفى لإرسال أنثى إليهم ، ولديهم (س ــ 18) هناك ، وقد ...

قفز (نور) من مكانه ، يسأله فى لهفة :

(س ــ 18) هناك .

بدا الاهتمام والأمل على الجميع ، و(محمود) يجيب :

ــ نعم .. إنه هناك يا (نور) ، ولكنه لن يطيع سواك .

هتف به (نور) :

ــ أرسلنى إليهم إذن .

سأله فى توتر :

ــ هل ستبقى هناك يا (نور) ؟!

أجابه فى انفعال :

ــ بل سأمر (س ــ 18) بالعودة إلى طاقته ، ومحاولة استخدام قوته وقدراته اللا محدودة ، فى انقاذنا من هذا الموقف .

قال (محمود) فى يأس :

ــ مستحيل يا (نور) !.. لقد درست حتى هذا الاحتمال ، ووجدت أن قدرات (س ــ 18) لن تجد الوقت الكافى لهذا ،

Loolo

فعندما انفجر هؤلاء الوحوش ، ونسفوا جزءًا من جدار المركبة ، حدث خلل رهيب فى التوازن داخلها ، ونحن نفقد الأكسجين بسرعة خرافية الآن ، ولن تمضى ساعات ست ، حتى نختنق جميعًا من نقص الأكسجين ، ونقضى نحبنا فى غضون دقائق .

قالت (سلوى) فى فزع :

ـ يمكنه إصلاح ذلك الجزء من الجدار على الأقل .

مط شفتيه ، قائلاً :

ـ سيمنحنا هذا يومًا إضافيًّا على الأكثر .

عاد وجوم ترقُّب الفناء يسيطر على الجميع ، قبل أن يزدرد (نور) لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

ـ فليكن .. لن نموت دون حتى أن تحاول .

وواجه (محمود) ، قائلاً فى حزم شديد :

ـ أرسلنى إليهم .

صمت (محمود) لحظات ، ثم قال :

ـ سيحتاج هذا إلى طاقة هائلة يا (نور) ، لم تعد متوافرة ، بعد تدمير بطارية الطاقة فى المركبة .

غمغم (أكرم) فى مرارة ، وهو يضمّ (مشيرة) إليه فى قوة :

ـ لا يوجد أمل إذن .

شدّ (محمود) قامته ، وهو يقول :

ـ بل ما زال هناك أمل وحيد ، بعد رحمة الله (عزَّ وجلَّ) .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

بدا متوترًا بعض الشىء ، وهو يقول :

ـ طاقة (الزوريوم) الحيوى .. طاقتى .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يقول (نور) فى صرامة :

ـ لا .. لن أسمح بأن تضحى بنفسك من أجلنا مرتين(*) .

ابتسم (محمود) فى مرارة ، مغمغمًا :

ـ نفسى ؟! لو أنها نفسى حقًّا ، لما تردَّدت فى التضحية بها من أجلكم الف مرة يا (نور) ، ولكنه مجرَّد تواجد وهمى ، ومشاعر بشرية ستنهار حتمًا ، كما سمعت ذلك الوغد يقول ، قبل مصرعه .. ومن المؤسف أنه كان محقًّا فى هذا ، ثم إن الفناء ينتظر البشرية كلها ، أو ما تبقى منها ، فأى شرف اكتسبه ، من أن يكون آخر ما أفعله ، هو محاولة إنقاذها .

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) ... المغامرة رقم (100) .

Looloo
www.dvd4arab.com

ران عليهم جميعًا صمت مهيب ، قبل أن يسأله (نور) فى صوت مبحوح ، حاول أن يكتم به تأثره :

ــ هل تعلم كيف نصل إليهم ؟!

أجابه (محمود) :

ــ بالتأكيد .

تخلَّى (أكرم) عن (مشيرة) فى هذه اللحظة ، واندفع خلف (محمود) ، هاتفًا :

ــ انتظر .

التفت إليه (محمود) ، فمد يده يصافحه فى قوة ، قائلاً :

ــ من المؤسف جدًا أن يفقد المرء صديقين بطلين فى يوم واحد ، ولكننى أردت أن أخبرك أنه من دواعى فخرى ، فى هذه اللحظات الأخيرة ، أننى تشرَّفت بالعمل معك .

صافحه (محمود) فى تأثر ، قائلاً فى خفوت :

ــ وأنا أيضًا يا (أكرم) .. صدقنى .. وأنا أيضًا .

تصافحوا جميعًا فى صمت ، فيما عدا ما قالته (سلوى) ، بين ذراعى (نور) :

ــ عد إلينا .

ربَّت عليها فى حنان ، ومسح دمعة انسالت على وجنتها ، وطبع قبلة على جبينها ، ومنحها ابتسامة هادئة ، ثم انصرف مع (محمود) ..

كان عليه أن يبذل كل ما تبقى من جهد ، فيما تبقى له من عمر ، من أجل الأمل ..

الأمل الأخير ..

للبشرية ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

14 ـ نهاية العالم ..

« ليس هناك أدنى أمل .. » ..

قالها (طارق) فى مرارة ، وهو يسبح مع الباقين وسط العدم ، قبلِ أن يستطرد :

ـ (س ـ 18) لا يستجيب إلا لصوت جرى بالفعل .

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه ، وقال فى يأس :

ـ صدقونى .. لقَـد قضى لنـا أن نبقى هنا إلى الأبد .. وأنا أعنى الأبد حرفيًا ، وليس مجازيًا .

قال (محمود) الصغير فى توتر :

ـ ترى هل يبحثون عنا فى الخارج ؟!

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه مرة أخرى ، وقال بنفس اليأس :

ـ إنه ليدهشنى أن ذلك القائد لم يرسلهم إلى هنا .

قال (طارق) الصغير :

ـ لو أرسل أبى إلى هنا ، لوجدنا الحل للخلاص .

قال الدكتور (راشد) :

ـ لو أرسل القائد (نور) إلى هنا ، لكانت أكبر حماقة ارتكبها فى حياته .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوت فرقعة عجيبة وسط الفراغ ، فهبَّ الدُّب من مكانه المفترض ، وهتف :

ـ ربـاه !.. هـل ..

قبل أن يتم هتافه ، ظهر (نور) و(محمود) فجأة وسط العدم ..

(نور) ارتطم بالدُّب ، و(محمود) سبح فى استرخاء عجيب ، وأطرافه كلها مرتخية على نحو عجيب ..

وهتف الجميع فى آن واحد :

ـ مسـتحيل !

كان (نور) يتمنى الاندفاع نحوهم ، بكل ما فى كيانه من لهفة وعاطفة ، إلا أنه اندفع نحو (محمود) ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. هل ..

لم يكن هناك من داع ليكمل عبارته ، فقد كانت كل لمحة فى كيان (محمود) توحى بأنه قد فقد كل علامات الحياة والطاقة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى حزن مرير ، ربَّت عليه ، (نور) ، مغمغًا :

ـ وداعًا يا صديق العمر .. وداعًا .

التف ابنه وحفيداه و الدكتور (راشد) والدُب حوله ، يراقبون معه جسد (محمود) ، الذى تألَّق فى خفوت ، وراح يتلاشى تدريجيًا ، وهمس الدُب فى خفوت :

ـ ماذا أصابه أيها الأسطورة ؟!

أجابه (نور) فى خشوع :

ـ دفع حياته ، من أجل ما يؤمن به .

انتقل خشوعه هذا إلى الجميع ، فلاذوا بالصمت التام ، حتى تلاشى الجسد الزوريومى تمامًا ، ثم همس (طارق) الصغير :

ـ هل فعلها معك ذلك القائد الأعلى الزائف يا أبى ؟! .

التفت إليهم (نور) ، قائلاً :

ـ بل جئت بإرادتى ؛ فى محاولة أخيرة لإنقاذ ما تبقى من البشرية .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

ـ البشرية ؟!.. ماذا تعنى يا سيِّد (نور) ؟!

وكما حدث للجميع ، أصابهم شرح الحقيقة المفزعة بصدمة قاسية ، أفقدتهم النطق طويلاً ، قبل أن يغمغم الدُب ، فى ذهول بأس :

ـ إذن فكل ما عشناه كان مجرَّد وهم .. وهم صنعوه ، وغرسوه فى عقولنا ، وأفسدوا به حياتنا لسنوات طوال .

تمتم (محمود) الصغير :

ـ لهذا لم نكن نذكر تفاصيل الكارثة .

وقال (طارق) الصغير :

ـ ولهذا لم يحاول الحصن أبدًا تصفية المقاومة .

وهتف الدكتور (راشد) فى مقت :

ـ يا لى من غبى !.. يا لنا جميعًا من أغبياء حمقى .. كانت كل الدلالات تشير إلى حدوث أمـور غامضة ، ولكننا لم نحاول التصدّى أو المقاومة .

تمتم الدُب :

ـ نحن قاومنا .

أجابه (طارق) فى حنق :

ـ كقطع شطرنج ، يحركها هو ، على رقعة من صنعه .

www.dvd4arab.com

ران عليهم الصمت لحظات أخرى ، قبل أن يسأل الدُّب فى قلق :

ــ وهل أتيت لتخرجنا من هنا أيها الأسطورة ؟!

اندفع الدكتور (راشد) يهتف فى ذعر :

ــ لا .. لا أريد الخروج إلى عالم ، فى طريقه إلى الفناء .. بقاؤنا هنا هو أملنا الوحيد فى النجاة .

هتف (طارق) مستنكرًا :

ــ أى قول هذا يا رجل ؟!

واجهه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ــ ما يقوله الدكتــور (راشد) هو الحقيقة يا (طارق) .. وجودكم هنا هو أمل البشرية فى الاستمرار .

قال (محمود) الصغير :

ــ ولكن البقــاء هنا هــو عذاب ما بعــده عذاب يا جدى .. سنبقى أبد الدهر ، وسط عدم لا يمضى فيه الزمن أبدًا .

قال (طارق) الصغير فى تردُّد :

ــ ربما كان هناك حــل آخــر .. ربما يستطيع (س ــ 18) إنقاذنا .. مرة بذلك يا أبى ، وسيفعل بإذن الله .

التمعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يهتف :

ــ نعم .. ربما يستطيع (س ــ 18) إنقاذنا ، ولكن ليس بأية طريقة تفكرون بها .. هناك وسيلة وحيدة ، تحدَّث عنها القائد الأعلى .

قال (نور) فى حزم :

ــ نفس الوسيلة التى أتيت لأستعين به من أجلها .

سأله (طارق) فى توتر :

ــ أية وسيلة يا جدى !!

أجابه بكل حزم الدنيا :

ــ الزمــن .

« ماذا تعنى بهذا يا (نور) ؟!.. »

ألقت (ســلوى) ســؤالها على (نــور) ، بعــد أن أعاده (س ــ 18) وحده من العدم ، ووقف ثابتًا جامدًا ، فى انتظار أوامر أخرى ، فأجابها (نــور) ، وهو يدير عينيــه فى وجوه الجميع ، موجّا حديثه إليهم :

ــ (س ــ 18) قادر على القيام برحلة واحدة ، مع شخص

Looloo
www.dvd4arab.com

واحد ، عبر الزمان والمكان .. رحلة ستستهلك كل طاقته ، حتى آخر قطرة منها ، ولكن تلك الرحلة ستكون آخر أمل لنجاة البشرية من الفناء .

سأله (أكرم) فى حيرة :

ـ كيف هذا ؟!

أجابه (نور) فى انفعال :

ـ سيعود (س ـ 18) بواحد منا ، إلى أرضنا التى نعرفها ، ولأنه من المستحيل أن تتواجد المادة مرتين فى زمن واحد ، فالشخص الذى سيذهب ، سيمتزج بكيانه مع الكيان الموجود ، فى الزمن الذى سيصل إليه ، ولكنه سيحتفظ بذاكرة هذا الزمن ، مما سيجعله قادرًا على تحذير العالم ، وفعل كل ما يلزم ، لمنع حدوث تلك الكارثة ، التى أفنت الحياة على الأرض ، وقادتنا إلى ما نحن فيه الآن .

سألته (مشيرة) :

ـ وهل سيعنى هذا أن كل ما ترتَّب على الكارثة لن يحدث ، وأننا لن نأتى إلى الفضـاء ، على متن هـذه المركبة العملاقة ، التى تقودنا إلى الفناء .

تمتـم :

ـ أتعشَّم هـذا .

ثم عاد يدير عينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

ـ والآن ، من سيقع عليـه الاختيـار ، ليكون أمل الأرض والبشرية الأخير ؟!

أجاب (أكرم) فى سرعة :

ـ أنت يا (نور) .

ثم ضم (مشيرة) إليه فى حب ، وهو يضيف فى حزم :

ـ فمهما كـان ما سيحدث ، لن أتخلى عن حب حياتى ، فى اللحظات الأخيرة .

التصقت به (مشيرة) فى حب ، وقالت :

ـ كانت لدى فرصة للعودة إلى الشباب .

قبَّلها فى حب ، قائلاً :

ـ أنت أجمل شابة عرفتها فى حياتى .

قال (نور) فى حزم :

ـ الأمر يحتاج إلى خبير علمى .

ضمته (سلوى) ، قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لن أرحل دونك .

صمت لحظة ، ثم قال فى مرارة :

ـ ستذهب (نشوى) .

لم تنطق (نشوى) بحرف واحد ، وكأنها كانت تنتظر هذا وتتوقَّعه ، ولكن (رمزى) هتف معترضًا :

ـ ولماذا (نشوى) ؟!

كانت (نشوى) هى من أجابته ، قائلة فى حزم :

ـ لأنه من واجب كل أم ، أن تبذل المستحيل ، من أجل أبنائها ، ولو أن هذا نجح ، أكون قد فعلت كل ما أمكننى من أجلهما ..

هتـف :

ـ وماذا لو لم تنجح ؟!

أجابت فى سرعة وحزم :

ـ سيكفينى شرف المحاولة .

وحاولت أن تبتسم ، وهى تضيف :

ـ ولن يصنع هذا فارقًا ، فكلنا سنفنى فى كل الأحوال .

عبارتها جعلتهم يصمتون جميعًا ، قبـل أن يلتفت (رمزى) إلى (نور) ، ويقول مقاومًا دموعه :

ـ لقدانقذت ابنك وحفيديك ، وتحاول الآن إنقاذ ابنتك أيضًا .

أجابه (نور) فى صلابة ، لم تنجح فى إخفاء حقيقة مشاعره :

ـ إننى أحاول إنقاذ البشرية يا صديقى .

لم تمض لحظـات على قوله هـذا ، حتى وقف (نور) أمام (س ـ 18) ، وشرح له المطلوب منه فى حزم ، ثم أزدرد لعابه فى صعوبة ، وقال بصوت أجش ، من فرط الانفعال :

ـ (س ـ 18) .. انطلق فى مهمتك .

أجابه (س ـ 18) بتلك العبـارة الوحيـدة المسجَّلة فى برنامجه ، بكل لغات الدنيا :

ـ (س ـ 18) فى خدمتك يا سيِّدى .

ثم أحاط (نشوى) بذراعيه ، وراح جسده يتألَّق على نحو عجيب ، ويزداد تألُّقه فى سرعة ، حتى أغشى أبصارهم جميعًا ..

وبعدها دوت فرقعة ..

فرقعـة مكتومة ، تلاشى بعدها تألُّقه تمامًا ، وفتح الجميع

www.dvd4arab.com

عيونهم ، لتطلق (سلوى) شهقة لوعة قوية ، ويضمها (نور) إليه فى حنان ، وكأنما يحاول حمايتها من مشاعرها ..

لقد اختفى (س ــ 18) مع (نشوى) ، وتركا خلفهما سؤالاً واحدًا كبيرًا ..

هل ستنجح خطة (نور) لإنقاذ البشرية ؟!

هــل ..

* * *

« (نشوى) .. استيقظى يا بنيتى .. »

انتفض جسد (نشوى) ، عندما لمستها تلك الأصابع ، على الرغم من دفئها ، وفتحت عينيها عن اتساعهما ، تحدّق فى وجه الدكتور (حجازى) ، الذى ابتسم فى حنان ، قائلاً :

ــ هل أفزعتك ؟!

اعتدلت على ذلك الفراش الوثير ، وتلفّتت حولها فى دهشة ، تتأمّل حجرة العيادة ، التى ترقد داخلها ، وهى تقول فى انفعال :

ــ أين أنا ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يجذب مقعدًا ، ويجلس إلى جوارها ، قائلاً :

ــ فى عيادة مبنى المخابرات العلمية .. ألم تأت هنا من قبل قط ؟!

لم تدر لماذا تشعر بالحيرة لتواجدها هنا !!..

ولا لماذا تشعر وكأنه عليها القيام بعمل ما ؟!..

هناك جزء ما من عقلها ، مشوّش للغاية ..

جزء حائر ..

مرتبك ..

مظلم ..

جزء جعلها تسأله فى حذر ، لم يكن له منطقيًا ما يبرره :

ــ ماذا حدث لى ؟!

أجابها فى هدوء وحنان :

ــ غيبوبة مفاجئة .. وصفوا أنك انتفضت فجأة ، كما لو أن صاعقة خفية قد أصابتك ، ثم سقطت أرضًا ، وأنت تهزين بكلمات غير مفهومة .

سألته فى قلق :

ــ كلمات مثل ماذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ كلمات عن المستقبل ، وإنقاذ العالم ، والفضاء .. وحتى أعماق الأرض ، والمدهش أنهـم وجدوا (س ـ 18) فى حجرتك ، ولكنه جامد تمامًا ، كتمثال من الصلب .

وعاد يبتسم ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك ترهقين نفسك كثيرًا فى العمل .

اتسعت عيناها ، وهى تحدِّق فيه نجواء ..

المستقبل .. إنقاذ العالم .. الفضاء .. أعماق الأرض .. كلمات تبدو غير مترابطة ، ولكن شيئًا ما فى أعماقها ، يوحى إليها بأنه هناك رابط منطقى ، يربط كل هذا ..

شىء يصارع ، للصعود إلى عقلها الواعى ..

شىء هام للغاية ، ولكنه يختفى هناك ، فى ركن مظلم من عقلها ..

« لقد أوصيت باختبار حمل ... »

قالها الدكتور (حجازى) فى حنان ، فحدَّقت فيه مرة أخرى ، متسائلة :

ـ هل تعتقد أننى ...

قبل أن تتم سؤالها ، اندفع (نور) و(سلوى) إلى العيادة ، والأوّل يهتف فى جزع :

ـ (نشوى) ماذا أصابك يا ابنتى ؟!

واحتضنتها (سلوى) فى قوة ، هاتفة :

ـ رباه !.. لقد هرعت إلى هنا ، فور أن أخبرونى بما أصابك .

وبمنتهى الحيرة ، حدَّقت فيهما (نشوى) ..

أمها وأبوها ... هناك شىء ما ، يربطهما بكل ما سبق ..

يربطهما بالمستقبل ، والفضاء ، وأعماق الأرض ، وإنقاذ العالم ..

ولكن ما هذا ؟!..

لماذا لا تذكر ذلك الشىء ؟!

لماذا لا يصعد إلى سطح ذاكرتها ..

سمعت (نور) يسأل الدكتور (حجازى) ، فى قلق واهتمام :

ـ هل تعانى من شىء ما ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ شىء جيد .

Looloo
www.dvd4arab.com

التفتت إليه (سلوى) ، تسأله فى دهشة :

ــ شىء جيد ، يصنع بها هذا ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ــ لقد طلبت بعض الفحوص المؤكدة .

اندفع (رمزى) و(أكرم) و(مشيرة) إلى الحجرة ، فى اللحظة نفسها ، وهتف الأوّل :

ــ (نشوى) .. ماذا أصابك يا حبيبتى ؟!

وأضافت (مشيرة) فى قلق :

ــ لقد أفزعتنا .

ولسبب ما شعرت (نشوى) بالدهشة ، من جمال وشباب ونضارة وجه (مشيرة) ، وحدَّقت فيها فى حيرة ، وهى تغمغم :

ــ (مشيرة) .. أنت جميلة جدًا .

ضحك (أكرم) وهو يحتضن (مشيرة) ، قائلاً :

ــ إنها دومًا كذلك .

تملَّصت منه (مشيرة) فى ضيق ، وهى تقول فى عصبية :

ــ ليس فى كل زمان ومكان يا (أكرم) .

واتسعت عينا (نشوى) مع العبارة ..

الزمان والمكان ...

هذا هو كل ما يدور فى عقلها ..

الزمان والمكان ..

تراصت مشاهد سريعة خاطفة فى ذهنها ، ضاعفت من حيرتها وتوترها كثيرًا ..

مشاهد لعالم عجيب ..

ووحوش آلية ..

و(محمود) بقدرات هائلة ..

وقتال وسط أطلال ..

و ...

« ماذا بك ؟! »

انتزعتها (سلوى) من أفكارها بالسؤال ، الذى ألقته فى توتر قلق ، قبل أن تضيف :

ــ لقد شحب وجهك بشدة .

Looloo
www.dvd4arab.com

اعتدلت (نشـوى) ، وهزَّت رأسها وكأنها تنفض عنه تلك المشاهد غير المترابطة ، وقالت :

ـ أنا بخير .

نطقتها فى شحوب ، ولكنها نهضت بعدها من فراشها ، مستطردة فى حزم :

ـ أنا مستعدة للعودة إلى العمل فورًا .

التفت (نور) إلى الدكتور (حجازى) ، يسأله :

ـ هل يمكنها هذا ؟!

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال :

ـ هذا يتوقَّف على نوع العمل .

قالت هى فى حزم :

ـ أنا مستعدة لأى عمل .

تردَّد (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أنه لدينا مهمة جديدة ، ولكن لو أنك ...

قاطعته فى توتر :

ـ أنا مستعدة يا أبى .

بدا عليه مزيد من التردُّد ، وسألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ أية مهمة تلك يا (نور) ؟!

أجابها فى اقتضاب :

ـ بعثة جيولوجية ، اختفت دون أن تترك خلفها أى أثر ، والقائد الأعلى يريدنا أن نجد تفسيرًا لهذا .

سرى التوتر فى كيانها بشدة مع حديثه ..

بعثة جيولوجية ..

كهف جاف ..

زئبق جاف ..

كلها أمور أضيفت لما سبق فى ذهنها ، وبدا وكأنها كلها تصنع منظومة واحدة ..

منظومة تختفى هناك ، فى جـزء مظلم ، من أعمق أعماق عقلها ، ويبدو أنها تقاتل للصعود إلى السطح ..

حاولت أن تنقض تلك المشاعر المتوترة عن عقلها ، و(أكرم) يقول ضاحكًا :

ـ يبدو أنها ستكون مهمة تقليدية جديدة .

Looloo
www.dvd4arab.com

غمغمت (مشيرة) فى حدة :

ـ كل كـارثة تخوضونهـا ، يطلق عليها (مهمة تقليدية جديدة) .

ابتسم ، قائلاً :

ـ أليست كلها كذلك .

سرت ارتجافة باردة فى جسد (نشوى) مع عبارته ، وصرخ ذلك الشىء الكامن فى أعماقها بأنها لن تكون أبدًا مهمة تقليدية ..

أبـدًا ..

وفى استسلام عجيب ، ودَّعت الدكتور (حجازى) بابتسامته الحانية ، وخرجـت مع أفراد فريقهـا ، وكيانهـا كله يحاول استخراج ما يشتعل فى عقلها ..

ولكن هل ستنجح فى هذا ؟!..

هل سيستيقظ عقلها ، من صدمة رحلته عبر الزمن ، واندماجه بكيانها الآخر، ويستعيد كل ذكرياته ، قبل أن يكرِّر الزمن نفسه ؟!

هـل سيمكنها حقًا أن تؤدى الدور ، الـذى عبرت من أجله حاجز الزمن ؟!

وهل ستفعل هـذا ، قبل أن تخطـو الأرض ، وتخطو البشرية خطواتها الأخيرة ؟!

أم أن النهاية ستسبق كل شىء ، وتنتصر على الزمان والمكان ؟!

نهاية البشرية ..

ونهاية العالم .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

صدر من هذه السلسلة

1 — لعنة الموت .
2 — اختفاء ساروخ .
3 — مدينة الأعماق .
4 — غزاة الفضاء .
5 — القنبلة الفاسدة .
6 — زائر من المستقبل .
7 — جنون مطلق .
8 — الارتجاج القاتل .
9 — صراع الحواس .
10 — الفارس المجهول .
11 — منطقة الرعب .
12 — طريق الأشباح .
13 — الزمن المفقود .
14 — نداء النجوم .
15 — مثلث الغموض .
16 — الوباء الجهنمي .
17 — نبض الخلود .
18 — خلال الغزو .
19 — عيون الهلاك .
20 — العقول الصدئية .
21 — لطيافة الماضي .
22 — ليلة الرعب .
23 — بصمات السحرة .
24 — الضوء الأسود .
25 — صحوة الشر .
26 — لعنة الفضاء .
27 — الخط الزجاجي .
28 — النهر المقدس .
29 — الإيقاع المخيف .
30 — النار الباردة .
31 — رنين الصمت .
32 — الأفق الأخضر .
33 — حارس الأرواح .
34 — وحش المحيط .
35 — مرآة الغد .
36 — الموت الأزرق جـ 1 .
37 — السماء المظلمة جـ 2 .
38 — من وراء النجوم جـ 3 .
39 — الثلوج الساخنة .
40 — علامات الخوف .
41 — مملكة النار .
42 — الأرض الثانية .
43 — ثقب في التاريخ .
44 — الخارقون .
45 — السحاب الأحمر .
46 — الكوكب الملعون .
47 — المقاتل الأخير .
48 — سجن القمر .
49 — غزو الأرض .
50 — الأسطورة .
51 — الخلية الخائنة جـ 1 .
52 — العدو الخفي جـ 2 .
53 — إمطار الموت .
54 — عبر العصور جـ 1 .
55 — أسرى الزمن جـ 2 .
56 — شيطان الأجيال جـ 3 .
57 — منطقة الضياع .
58 — معركة الكواكب جـ 1 .
59 — جهيم أرغوان جـ 2 .
60 — أرض المطاردة .
61 — الكابوس .
62 — سادة الأعماق جـ 1 .
63 — المحيط الملتهب جـ 2 .
64 — السيف البارزي جـ 1 .
65 — أبواب الموت جـ 2 .
66 — الشمس الزرقاء .
67 — شيطان الفضاء .
68 — عقول الشر .
69 — العالم الآخر .
70 — الستار الأسود .
71 — أمور الظلام .
72 — ابن الشيطان جـ 1 .
73 — مبعوث الجحيم جـ 2 .
74 — الصراع الجهنمي جـ 3 .
75 — الجولة الأخيرة جـ 4 .
76 — الاحتلال جـ 1 .
77 — المقاومة جـ 2 .
78 — الصراع جـ 3 .
79 — التحدي جـ 4 .
80 — النصر جـ 5 .
81 — رمز القوة .
82 — حصن الأشرار .
83 — أرض العدم .
84 — كنز الفضاء .
85 — الأمل الفيروزي .
86 — الإمبراطور .
87 — نصف آلي .
88 — الانفجار العمي .
89 — البركان .
90 — رعب في الأعماق .
91 — هند الزمن .
92 — الرحلة الرهيبة .
93 — نقطة الصفر .
94 — الساحر .
95 — القوة السوداء .
96 — بذور الشر .
97 — لهيب الكواكب .
98 — نيران الكون .
99 — الانفجار .
100 — الزمن = صفر .
101 — الصحراء .
102 — النوم الرهيب .
103 — الأرض المنفردة .
104 — أشباح ومخالب .
105 — وجوه من ثلج .
106 — بلا أثر .

سري جداً !!

107 — لعنة الدم .
108 — مصيدة الفضاء .
109 — الدوامة .
110 — الفهود السوداء .
111 — كوكب الخطافة .
112 — بصمة الموت .
113 — حرب الفيروسات .
114 — الرعب .
115 — العدو الخارق .
116 — الماسفة النووية .
117 — فارس الزمن .
118 — ألف عنصر .
119 — زمن الدم .
120 — الفارس الثاني .
121 — المجهول .
122 — الظلال الرهيبة .
123 — دائرة الظل .
124 — الغزاة .
125 — كرة النار .
126 — لهيب الرعب .
127 — طريق النجوم .
128 — الزمن الآخر .
129 — وراء الظل .
130 — القوة .
131 — الماسفة .
132 — الرمال الحية .
133 — نقطة التماس .
134 — سادة الكون .
135 — فودو .
136 — الأحراش الفسفورية .
137 — الشر .
138 — الأعماق .
139 — حرب الأشباح .
140 — قراصنة الزمن .
141 — الثعابين .
142 — انهيار .
143 — بلا جسد .
144 — العالم .
145 — الجسم الرهيب .
146 — البقعة المظلمة .
147 — المنحوتة الكبرى .
148 — عودة الشر .
149 — 1 .
150 — آخر المطاردة .
151 — بلا وعي .
152 — الفيروس .
153 — المفقودون .
154 — الزئبق الجائل .
155 — الكهف .
156 — عالم جليد .
157 — الظلال الداخلي .
158 — [illegible]
159 — نيران المستقبل .
160 — نهاية العالم .

رقم الإيداع : ٩٧٧ - ٣٧٨ - ٢٤٨ - ٢٣٧٧٢

نهاية العالم !

- تواصل الصراع فى المستقبل ، بين (نـور) وفريقه ، وذلك السر الغامض ، الذى يختفى خلفه القائد الأعلى ..
- فرار الفريق من الحصن ، نقل الصراع إلى قلب الأطلال ، وبحثهم عن ذلك الحاجز المحيط بها ، قفز بالصراع إلى مستويات جديدة ..
- وعلى كل الجبهات اشتعلت حرب الغد ، وسط أطلال الماضى ، لمحاولة إطفاء نيران المستقبل ، والسيطرة على عالم جديد ..
- ومع المفاجأة المذهلة فى النهاية ، خاض الفريق أصعب وأعقد وأعجب وأشرس معاركه ، قبل (نهاية العالم) ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نـور) وفريقه معركتهم الأخيرة .. من أجل التاريخ .. تاريخ المستقبل .

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

160

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع